4 me Année, No. 140.

Lundi 9-3-1936

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات
٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة
تليفون ٤٣٠١٣

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٤٠ « القاهرة في يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٥٤ — ٩ مارس سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

## فهرس العـــدد



٦٠٢٤

# المعنى السيـــاسي في العيد

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

ما أشد حاجتنا نحن المسلمين إلى أن نفهم أعيادنا فهماً جديداً نتلقاها به ونأخذها من ناحيته فتجئ أياماً سعيدة عاملة تنبه فينا أوصافها القوية وتجدد نفوسنا بمعانيها ، لا كما تجيء الآن كالحة عاطلة ممسوحةً من المعنى ، أكبر عملها تجديدُ الثياب ، وتحديد الفراغ ، وزيادة ابتسامة على النفاق

فالعيد إنما هو المعنى الذي يكون في اليوم لا اليومُ نفسُه ، وكما يفهم الناس هذا المعنى يتلقون هذا اليوم ؛ وكان العيد في الإسلام هو عيدَ الفكرة العابدة ، فأصبح عيدَ الفكرة العابثة ؛ وكانت عبادة الفكرة جمعَها الأمة في إرادة واحدة على حقيقة عملية ، فأصبح عبث الفكرة جمعها الأمة على تقليد بغير حقيقة ، له مظهر المنفعة وليس له معناها

كان العيد إثبات الأمة وجودَها الروحاني في أجمل معانيه ، فأصبح إثباتَ الأمة وجودَها الحيوانيَّ في أكثر معانيه ؛ وكان

يوم استرواح القوة من جِدها ، فعاد يوم استراحة الضعف من ذله ؛ وكان يوم المبدأ ، فرجع يوم المادة !

* * *

ليس العيد إلاّ إشعارَ هذه الأمة بأن فيها قوةَ تغيير الأيام ، لا إشعارها بأن الأيام تتغير ؛ وليس العيد للأمة إلاّ يوماً تعرض فيه جمالَ نظامها الاجتماعى ، فيكون يومَ الشعور الواحد فى نفوس الجميع ، والكلمة الواحدة فى ألسنة الجميع ؛ يوم الشعور بالقدرة على تغيير الأيام ، لا القدرة على تغيير الثياب . . . . كأنما العيد هو استراحة الأسلحة يوماً فى شعبها الحربى

وليس العيد إلاّ تعليم الأمة كيف تتسع روحُ الجوار وتمتدّ حتى يرجع البلدُ العظيمُ وكأنه لأهله دار واحدة يتحقق فيها الإخاء بمعناه العملى ، وتظهرُ فضيلةُ الإخلاص مستعلنةً للجميع ، ويُهدى الناس بعضُهم إلى بعض هدايا القلوب المخلصة المحبة ، وكأنما العيدُ هو إطلاقُ روح الأسرة الواحدة فى الأمة كلها

وليس العيدُ إلاّ إظهار الذاتية الجميلة للشعب مهزوزةً من نشاط الحياة ؛ ولا ذاتية للأمم الضعيفة ؛ ولا نشاط للأمم المستعبدة . فالعيدُ صوتُ القوة يهتف بالأمة : أخرجى يومَ أفراحك ، أخرجى يوماً كأيام النصر !

وليس العيدُ إلاّ إبراز الكتلة الاجتماعية للأمة متميزةً بطابعها الشعبى ، مفصولةً من الأجانب ، لابسةً من عمل أيديها ، معلنة بعيدها استقلالين فى وجودها وصناعتها ، ظاهرة بقوتين فى إيمانها وطبيعتها ، مبتهجة بفرحين فى دورها وأسواقها . فكأن العيد يوم يفرح فيه الشعب كله بخصائصه

وليس العيد إلاّ التقاء الكبار والصغار فى معنى الفرح بالحياة الناجحة المتقدمة فى طريقها ، وترك الصغار يلقون درسَهم الطبيعى فى حماسة الفرح والبهجة ، ويعلّمون كبارهم كيف توضع المعانى فى بعض الألفاظ التى فرغت عندهم من معانيها ، ويُبَصِّرونهم كيف ينبغى أن تعمل الصفات الإنسانية فى الجموع عمَل الحليف لحليفه ، لا عمل المنابِذ لمنابِذه . فالعيدُ يومُ تسلط العنصر على نفسية الشعب

وليس العيد إلاّ تعليم الأمة كيف توجِّه بقوتها حـ الزمن إلى معنى واحد كلما شاءت ؛ فقد وضع لها الدين هذه العا لتُخرّجَ عليها الأمثلة ، فتجعلَ للوطن عيداً مالياً اقتصادياً تـ فيه الدراهم بعضُها إلى بعض ، وتخترع للصناعة عيدَها ، وتـ للعلم عيدَه ، وتبتدع للفن مجالىَ زينته ؛ وبالجملة تنشئُ لنفسها تعمل عمل القوّاد العسكريين فى قيادة الشعب ، يقوده كل منها إلى معنى من معانى النصر

* * *

هذه المعانى السياسية القوية هى التى من أجلها فُرض الـ ميراثاً دهرياً فى الإسلام ليستخرج أهل كل زمن من معانى زمـ فيضيفوا إلى المثال أمثلةً مما يُبدعه نشاط الأمة ، ويحققه خـ وتقتضيه مصالحها

وما أحسب الجمعة قد فرضت على المسلمين عيداً أسبو يُشترط فيه الخطيب والمنبر والمسجد الجامع ، إلاّ تهيئةً لتلـ المعنى وإعداداً له . ففى كل سبعة أيام مسلمة يومٌ يجىء فيُنـ الناسَ معنى القائد الحربى للشعب كله

ألا ليت المنابر الإسلامية لا يخطب عليها إلاّ رجالٌ فيـ أرواحُ المدافع ، لا رجال فى أيديهم سيوف من خشب . . .

مصطفى صادق الرافعى

# عدد الرسالة الممتاز

ستصدر الرسالة على عادتها عدداً ضخماً فخماً فى رأس السنة الهجرية تدور موضوعاته على المواقع العربية والمواقف الإسلامية التى كان لها أثر ظاهر فى تقدم المدنية . وسنعلن عن كتّابه بعد

# رسوم الفطر والأضحى
## فى عهد الدولة الفاطمية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت الدولة الفاطمية فى مصر دولة البهاء والبذخ والترف فى الحياة العامة وفى الحياة الخاصة ؛ وكانت مواكب الخلافة الفاطمية ورسومها الفخمة دائماً مثار الروعة والاجلال ، وكانت أعيادها ومواسمها الباهرة مثار البهجة والفرح العام ؛ وما زالت آثار من تلك الرسوم والمواسم الشهيرة تمثل فى كثير من أعيادنا ورسومنا وتقاليدنا الدينية ؛ فاذا رأيت بعض هــذه الأعياد والمواسم يجنح إلى نوع من الفخامة ، وإذا رأيت بعض هذه الرسوم يتشح بأثواب من الرونق والبهاء ، فانما ذلك يرجع فى الأغلب إلى أثر الدولة الفاطمية فى بث هذه الروح الباذخة البهجة إلى كثير من نواحى الحياة العامة والخاصة فى مصر الاسلامية

وربما كان من الشائق الممتع ، وقد تمضى المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها عيد الأضحى المبارك ، أن نقف على طرف من الرسوم والتقاليد التى كانت تجرى عليها الخلافة الفاطمية فى الاحتفاء بهذا العيد الاسلامى الجامع ؛ وقد كان للخلافة الفاطمية أعيادها ومواسمها الدينية الخاصة ، إلى جانب العيدين الاسلاميين الرئيسيين ، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى ؛ وكانت تحتفى بهما فى حفلات ومظاهر رسمية رائعة ؛ وكان موكب العيــد من أعظم مواكب الخلافة الفاطمية ؛ ففى ليلة عيد الفطر كان يمتد فى الليل بالايوان الكبير الذى يواجه مجلس الخليفة سماط ضخم يبلغ طوله نحو ثلثمائة ذراع فى عرض سبعة أذرع ، وتنثر عليه أنواع الفطائر والحلوى الشهية مما أعد فى دار الفطرة الخلافيــة ؛ فاذا انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجلسه ، وفتحت أبواب القصر والايوان على مصاريعها ، وهرع الناس من جميع الطبقات إلى السماط الخلافى وتخاطفوا ما عليــه بحضور الخليفة ووزرائه ؛ وحينما تبزغ الشمس يركب الخليفة فى موكبه إلى الصلاة ويخرج من باب العيد إلى المصلى ؛ وقد انتهت إلينا عن هــذه المواكب الفاطمية من أقوال المؤرخين المعاصرين صور تبهرنا بروعتها وجمالها ؛ ونحن نحيل القارئ على تلك الفصول الشائقة البديعة التى ينقلها إلينا المقريزى عن هذه المواكب الخلافية الرائعة (١) ونكتفى بأن ننقل اليه هذه الصورة الموجزة من أقوال المسبحى مؤرخ العصر الأول من الدولة الفاطمية ، قال :

« وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى ، والعسكر فى زيه من الأتراك والديلم والعزيزية والأخشيدية والكافورية ، وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب . وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر ، والسروج بالعنبر ، وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة ، وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف » (٢)

فاذا عاد الخليفة من الصلاة كان ثمة سماط آخر أبهى وأروع وهو السماط الثانى لعيد الفطر ؛ فيجلس الخليفة فى مجلسه وأمامه مائدة من فضة يقال لها المدورة وعليها أوانى الذهب والفضــة غاصة بأفخم الأطعمة وأشهاها ؛ وقبالة المائدة الخلافية سماط ضخم يتسع لنحو خمسمائة مدعو ، وقد نثرت عليه الأزهار والرياحين (٣) وصفت على حافتيه الأطباق الحافلة بصنوف الشواء والطيور والحلوى البديعة ، وجلس إليه رجال الدولة والعظماء والأكابر من كل ضرب وأكل من شاء دون الزام حتى لا يرغم على الافطار من لا يرى الافطار فى ذلك اليوم ؛ وعند الظهر ينفض المجلس وينصرف الناس

* * *

وأما عيد الأضحى أو عيد النحر كما كانت تؤثر تسميته فى ظل الدولة الفاطمية تنويها بأبرز مظاهره ألا وهى نحر الأضحية ، فقد كان يحتفى به بركوب الخليفة إلى الصلاة على النحو المتبع فى صلاة عيــد الفطر ثم يخص بسماط حافل يقام فى أول يوم منه . بيد أنه يمتاز بركوب الخليفة فيــه ثلاث مرات متوالية فى أيامه الثلاثة الأولى ، ويمتاز بالأخص باشتراك الخليفة نفسه فى اجراءات النحر ؛ وكان قيام الخليفة بهذا العمل من أروع المظاهر والمراسيم التى جرت عليها الخلافة الفاطمية فى الأعياد العامة . فلنتصور

(١) راجع خطط المقريزى ( الطبعة الأهليــة ) ج ٢ ص ٢١٤ إلى نهاية المجلد (٢) الخطط — ج ٢ ص ٣٢٣

(٣) الخطط ج ٢ ص ٢٢٠ ، ومن هذا نرى أن تزيين المائدة بالأزهار ليس عادة محدثة وليس بالأخص فكرة أفرنكية

أمير المؤمنين متشحاً بثوب أحمر قانٍ يسير في موكبه ماشياً إلى دار النحر الجلالية — وقد كانت تقوم في ركن خارجي من القصر — وبين يديه الوزير وأكابر الدولة والأساتذة المحنكون [1] ( وهم المشرفون على شؤون الخاص ) ويكون قد اقتيد إلى النحر واحد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة يعلوها الخليفة وحاشيته ، وقد فرشت حافتها بأغطيــة وبطائن حمر يتقى بها الدم ، وحمــل الجزارون كل بيده إناء مبسوطا يتلقى به دم الضحية ؛ ثم تقدم رؤوس الأضاحي إلى الخليفة واحدة فواحدة ، فيدنو منها وبيده حربة يمسك بها من الرأس ، ويمسك القاضي بأصــل سنانها ويجعله في عنق الدابة فيطعن بها الخليفة ، وتجر من بين يديه حتى يأتي عليها جميعاً ، وكلما نحر الخليفة رأساً جهر المؤذنون بالتكبير ؛ وتقدد الضحية الأولى ، وتفرق قطعاً صغيرة في الأولياء والمعتقدين ؛ وفي اليوم التالي ينتظم نفس الموكب إلى النحر ، وينحر الخليفة سبعة وعشرين رأساً ؛ وفي اليوم الثالث ينحر ثلاثة وعشرين ؛ ويجري توزيع لحم الأضحية خلال هــذه الأيام الثلاثة على أرباب الرسوم في أطباق خاصة للتبرك ، ويقوم بالتوزيع قاضي القضاة وداعي الدعاة ، ويخص نقباء الدعوة وطلبة دار الحكمة ( دار العلم ) بقسط من اللحوم الموزعة ؛ فإذا انقضت مراسيم النحر خلع الخليفة عند العودة إلى القصر على الوزير ثيابه الحمر ومنديلا ملوكياً بغير سمة ، والعقد المنظوم ، فيركب الوزير وعليه الخلع المذكورة في موكب حافل من القصر شاقا القاهرة حتى باب زويلة ، ثم يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة ، وبذلك تنتهي حفلات النحر

وكان الخليفة المعز بالله أول من سن ســنة إعطاء الضحايا وتفريق لحومها في أولياء الدولة على قدر مراتبهم ، وكان ما يخرج منها غير ما يذبحه الخليفة بنفسه يبلغ بضعة آلاف من مختلف الأصناف هذا عدا ما يفرق في أرباب الدولة من الخلع والأموال ؛ وقد انتهت إلينا من روايات المؤرخين المعاصرين تفاصيل دقيقة عن مقادير النفقة في تلك المواسم ، ومنها أن نفقة سماطي الفطر والأضحى كانت تبلغ زهاء أربعة آلاف دينار ؛ ويذبح من الإبل والجاموس والنوق في أيام النحر نحو ألفين وخمسمائة ، ومن الغنم ألفين وأربعمائة ؛ وقد أشرنا إلى ما كان يوزع في عيد الفطر على أرباب الدولة من صنوف الفطائر والحلوى ، وكيف كان يسمح للكافة باقتحام إيوان القصر لنهب السماط الخلافي أمام عيني الخليفة ذاته ؛ وعلى الجملة فقد كانت الخلافة الفاطمية تبــدي في المواسم العامة من ضروب البذخ والبهاء والبهجة ، ما يسبغ على هــذه المواسم أثوابا ساطعة من الرونق والجمال والسحر

وقد كان هــذا البذخ الذي تنثره الخلافة الفاطمية حولها ينفث في الشعب ذاته حب الظهور والمرح ، فكانت القاهرة تلبس في تلك المواسم حلة أنيقة باهرة وتحفل شوارعها ومحالها ودورها بأنواع الزينة القشيبة ؛ وكانت في الليل تبدو كأنها شعلة ساطعة من الأنوار ؛ وكان القصف والمرح يخرجان أحيانا في تلك المواسم عن حد الاعتدال حتى أن ولاة الأمر لجأوا غير مرة إلى إلغاء بعض الرسوم وتقييد بعض الحريات ؛ وفي عهد الحاكم بأمر الله ألغى الاحتفال ببعض المواسم التي كان القصف يخرج فيها عن حدود الاعتدال مثل عيد الشهيد ، وحرم شرب الخمر والركوب في الخليج ، وخروج النساء ، واشتد الحاكم في ذلك حتى كانت القاهرة تغدو أحياناً في أثواب قاتمة من السكون والاقفرار والروع . بيد أنه فيما خلا هذه الفترات القليلة ، كانت الخلافة الفاطمية دائما عند تقاليدها الباهرة تنثر حولها حلل البذخ والبهاء والترف في كل المواسم والمناسبات

* * *

هــذه لمحة سريعة فيما كانت ترتبــه الخلافة الفاطمية من الحفلات والرســوم الباذخة لاستقبال العيدين الاسلاميين الرئيسيين ؛ ولم تكن الخلافة الفاطمية أقل بذخا وبهاء في الاحتفال بباقي المواسم والأعياد الأخرى كيوم عاشوراء ، ويوم الغدير ، ويوم النيروز ، وعيد الشهيد وغيرها ، فقد كانت تسبغ عليها جميعاً أقصى مظاهر الروعة والفخامة ، وكانت هــذه المواسم والأعياد لدى الشعب المصري أياماً مشهودة تفيض بهجة وحبوراً ؛ وكانت الخلافة الفاطمية ترمي بترتيب هــذه الرسوم الباذخة إلى غايتين : الأولى أن تبث هيبتها الدينية بما تسبغه من الخطورة والخشوع على بعض المظاهر والرسوم ، والثانية أن تغمر الشعب

(1) الأساتذة المحنكون هم جماعة من أكابر موظفي القصر الفاطمي يتولون أخص شؤون الخليفة ، ومنهم زمام القصر ، وشاد التاج الشريف ، وصاحب بيت المال ، وصاحب الدفتر ، وصاحب الرسالة ، وزمام الأشراف الأقارب ، وصاحب المجلس ، وكانوا أكثر الناس اطلاعا على أسرار الخليفة .

# التعليم والحالة الاجتماعية في مصر

للأستاذ اسماعيل مظهر

قرأت في العهد الأخير تقريرين عن التعليم في مصر كتبهما عالمان استقدمتهما وزارة المعارف لينظر كل منهما في ناحية خاصة من نواحي التعليم ودرجاته، وأفضى كل منهما بآراء ناضجة فيما كلف به من بحث. فكتب مستر مان مفتش المدارس وكليات المعلمين بإدارة المعارف بإنجلترا تقريراً مدعماً بالاحصاءات فائضاً بالأفكار والنظريات، وكتب مسيو كلاباريد أستاذ علم النفس في كلية العلوم بجامعة جنيف تقريراً آخر عمد فيه إلى نظريات حديثة في علم النفس والتربية لا نعلم مقدار ما فيها من خطأ أو صواب، لأن الحكم على مثل هذه الأشياء يجب أن يرجع فيه إلى أهل الاختصاص، وإن كانت النظرة العاجلة التي ألقيتها على هذا التقرير قد أقنعتني، وقد أكون مخطئاً، بأن نظريات كلاباريد ربما تكون قد أسلمت به إلى نتائج لا يؤيدها الواقع ولا تسندها الحقائق التي يعرفها كثير من المصريين معرفة أولية لا تحتاج إلى نظر علمي ولا إلى استنتاج من مقدمات

هذا إلى أن العالمين الأوربيين إن كانا قد بحثا في التعليم المصري كل من ناحية اختصاصه، فان بحثهما إنما جاء قاصراً على الدائرة التي عينتها له وزارة المعارف وفي ضوء المعلومات التي زود بها، وفي الحدود التي رسمت للتعليم في مصر منذ خمسين سنة مضت. فان كانا قد أحسا بشيء من النقص، أو وقع لهما شيء يستحق النقد، فانما وقع لهما فيما هو داخل في هذه الحدود أو مشمول بها. فلم ينظرا مثلا فيما يجب أن يؤدي التعليم في مصر من حاجات الحياة العامة فيها، وفي علاقة التعليم بالحالات الجديدة التي تكتنف الحياة المصرية في تطورها الحديث. على أن هذا لا ينزل من مكانة ما كتب العالمان الفاضلان أو يقلل من قيمة آرائهما. فان المصريين أنفسهم أحق بأن يتلمسوا مكان النقص الذي يحسونه في التعليم من ناحية علاقته بالحياة عامة، وبالحالة الاجتماعية خاصة

ومهما يكن من أمر الباحث الأوربي في الشؤون المصرية، ومهما يكن من علمه وتمكنه فيه، فانه من المتعذر عليه كما قال مستر مان في تقريره أن يلم به إلمام المحيط بالحقائق الأساسية التي يحس بها المصريون أنفسهم من غير استعانة بآراء أو نظريات. ذلك بأن لكل أمة إحساساً بما يعتورها من نقص لن يفقه الغريب عنها شيئاً من خصائصه إلا بالجهد الشديد وطول التأمل والتفكير. مثل ذلك أن التقريرين اللذين وضعهما العالمان الأوربيان لم يلمسا الحقائق الأولية في حياتنا الاجتماعية وعلاقتها بالتعليم؛ ذلك في حين أن كل مصري يشعر شعوراً عميقاً بأن عصراً من عصور التطور الفكري قد آذن بأن تشرق شمسه في سماء مصر، وأن عصراً آخر قد أخذ في الأفول. أضف إلى ذلك أننا نشعر بأن حالاتنا الاجتماعية قد اتجهت في تطورها متجهاً ألقى على التعليم في مصر عبئاً جديداً لم يشعر به آباؤنا، وقد نشعر بعض الأحيان بشيء من القلق، وقد نشعر بأن هذا القلق قد يتضاعف بعض الأحيان حتى ليذهب بالبعض إلى حد اليأس من

---

المصري بسيل من الحفلات والمآدب والمواكب الباهرة، وأن تأسره بمظاهر جودها الوافر، وأن تنثر عليه ما استطاعت من آيات البهجة والمرح، كل ذلك لكي تكسب ولاءه وعرفانه وتأييده؛ وقد كانت الخلافة الفاطمية تشعر دائماً أنها لم تكسب كل ولائه وتقديره، وان سياستها المذهبية تبث إلى نفسه شيئاً من الوحشة والريب؛ بيد أنه يجب أن نقول من جهة أخرى إن الدولة الفاطمية كانت بحق دولة البهاء والبذخ الواسع، وكانت هذه الرسوم والمظاهر الرائعة من بعض مظاهر قوتها وعظمتها وغناها؛ وكانت هذه الروح الفخمة الباذخة تطبع كل رسومها ومظاهرها، في القصر وفي الخارج، وفي السياسة والدين والادارة، وفي الحياة العامة والحياة الخاصة؛ وقد سرت آثار كثيرة من هذه المظاهر والرسوم الفخمة الشائقة إلى كثير من العصور والدول الاسلامية التي تعاقبت على مصر بعد الدولة الفاطمية؛ وقد نلمس إلى اليوم في بعض الرسوم والنظم الدينية، وفي بعض مظاهر أعيادنا ومواسمنا لمحات من آثار البذخ الفاطمي

محمد عبد الله عنان

مستقبل آلاف الطلبة الذين يتعلمون اليوم فى المدارس وتخرجهم الكليات زرافات كل عام . بل إننا أخذنا نشعر بكل ما شعر به الأستاذ هنرى جيمس عند ما قال : إن الاحتفاظ بحالة اجتماعية ثابتة الدعائم قوية الأركان فى جمعية يكتب على المتعلمين فيها عيش الفقر والذلة ، لأمر فيه من البعد عن حقائق الطبع البشرى بقدر ما فى محاولتك بناء هرم يرتكز على رأسه لا على قاعدته من بعد عن حقائق الطبيعة الكونية

ولقد عارى مفكر فى أن ذلك الشعور العميق الذى يكتنف تفكير الكثيرين من المصريين إنما له أسبابه الغامضة البعيدة عن ادراك الذين لا يفكرون فى التعليم إلا بقدر ما يفكرون فى أداة تخرج متعلمين ، ولا يزيد خطره فى نظرهم عن خطر آلة تخرج أحذية أو لفافات تبغ فى نظر عامل يجهل حقيقة الآلة التى يديرها ، ولا يعرف عنها إلا أمرين : شكلها الظاهر ، وثمرها الذى يجنيه منها

على أن الثمر الذى أخذنا نجنيه من أداة التعليم عندنا قد جدت عليه ظاهرتان جديدتان : الأولى أن طعمه قد أخذ يتغير ، والثانى أن سنفه أخذ ينحط مع كثرة الانتاج . ولا شك فى أنهما ظاهرتان يعلل بهما كثير من الظواهر الاجتماعية التى تمر علينا فى كل يوم صور منها ، وأخصها كثرة العاطلين من المتعلمين ، والجهد الذى يلقاه المجدون منهم فى تحصيل رزقهم الحلال

ولا ريب فى أن هذه الظاهرات ترجع إلى أسباب أخذت تتجمع منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ، حتى أفضى بنا التطور إلى الحالة التى تكتنفنا اليوم . ولما كان الغرض الذى أرمى اليه من نشر هذه المقالات إنما يتجه إلى وصف العلاقة التى تقوم اليوم بين التعليم والحالة الاجتماعية والمهمة الكبرى الملقاة على عاتق التعليم فى تنظيم الحالة الاجتماعية ودرء الأخطار التى قد يتعرض لها المجتمع المصرى بقدر ما فى مستطاع التعليم أن يدرأ منها ، وجب أن أظهر أولا أن أشد الأخطار التى يتعرض لها الكيان الاجتماعى فى مصر من ناحية التعليم أن الشاب المتعلم فى مدارسنا العليا يفقد مع التعليم استقلاله الذاتى ، باعتباره قوة لها حقيقة مستقلة عن القوى الأخرى التى تكتنفها . وقد يشعر بذلك الشاب المتعلم ، وقد يشعر به الذين يعلمون أولادهم ، حتى لقد نجد أن بعض القادرين على التفكير ينظرون نظرة تشاؤم إلى المستقبل القريب ، وإن لهم فى ذلك الحقا ، وإن لهم فى تشاؤمهم لأسبابا تبرره وحقائق تعلله ، ومن أجل أن نظهر تطور الحالات التى أفضت بنا إلى هذه النتائج ينبغى لنا أن نذكر حقائق خمسا نرجع فيها إلى تاريخنا بعض الشيء :

أولا : حكمت مصر منذ أبعد العصور على نظام تباين الطبقات الاجتماعية ، وعلى أساس الفوارق فى الحقوق العامة ؛ غير أن الطبقات أخذت تتقارب حقوقها الطبيعية وتنتفى من بينها الفوارق من عهد قريب ، فالكل الآن متساوون أمام القانون ، ولكل مصرى حق الانتخاب والحكم من طريق مجلس النواب . فأخذ مظهر وجود طبقتين متمايزتين فى الحقوق المدنية يزول شيئاً بعد شيء ، فلقد كانت مصر القديمة مكونة من ثلاث طبقات هم : الحكام والكهنوت والشعب ؛ ومنذ غزو الاسكندر وحكم البطالسة إلى حكم المماليك حتى بدء الاحتلال الانجليزى كانت هنالك طبقات تختلف حقوقها وامتيازاتها ؛ أما الآن فقد انتفت هذه الفوارق نظرياً ، ونقول نظرياً لأننا لا نزال نشكو من بعض مساوئها ، بالرغم من أن أصغر فلاح فى مكنته أن يقاضى أعظم عين فى البلاد ، وأن يأخذ حقه منه إن كان له حق

ثانياً : بالرغم من أن نظام الطبقات المتباينة فى الحياة والحقوق هو النظام الذى اتبع فى مصر منذ أبعد العصور ، وبالرغم من أن حالة مصر الاجتماعية من خمسين سنة مضت كانت تكفل الاستقلال المادى لطبقتى ذوى الامتيازات والفلاحين معاً ؛ بأن تحمل طبقة الفلاحين ، وهى الطبقة العاملة ، العبء كله ، بأن تكفى نفسها وتكفى حاجات حكامها بقدر الاستطاعة ، فان الحالة الجديدة ، حالة التساوى أمام القانون فى الحقوق ، قد أحدثت ظاهرة اجتماعية جديدة ، كان سببها أن الفلاح قد خرج من كونه عاملا لا حق له فى ملكية الأرض ، إلى رجل حر له حق العمل متى شاء والانقطاع عنه متى أراد ، وله فوق ذلك حق الملك ، بل نقول إنه انتقل من عامل إقطاعى إلى رجل حر ، فقامت على هذه الحال ظاهرة اجتماعية جديدة

ثالثاً — هذه الظاهرة الاجتماعية الجديدة التي قامت على ظهر الفلاح المصري وعتقه من نظام الاقطاع الذي ظل خاضعاً له طوال القرون ، قد قلب آية الحياة الاجتماعية في مصر . فان كان الفلاح لم يكن بنفسه شيء ليكون مستقلا تمام الاستقلال في حياته إلا قانون يحميه ، ونظام اجتماعي يجعله يشعر بأنه قوة لها أثر في الحياة ؛ فلما وقع ذلك بالفعل أصبحت الطبقة الدنيا وهي طبقة الفلاحين المسخرين التي كان عليها أن تحفظ استقلالها واستقلال الطبقة التي تعلوها ، سيدة نفسها ، وأصبحت طبقة الملاك وأصحاب الجاه كما كانت في الحالة الأولى عبئاً عليها ، ولكن في صورة جديدة ، هي صورة أخذت شكل صراع خفي بين طبقتين

رابعاً — ولقد انحصر مظاهر هذا الصراع في طبقة تحررت من قيود النظام الاقطاعي وهي الطبقة المنتجة العاملة بيدها ، فأصبحت مستقلة بنفسها . وهي طبقة قادرة على الحرث والغرس والحصاد في بلاد لن يزرعها غيرها ، ولن ينتفع بها غيرها ؛ فهي مستقلة ما دامت من فوق الأرض التي يغذيها النيل بشرايينه المحيية ؛ وهذه الخطوة الجديدة أحدثت ظاهرة أخرى

خامساً — عكفت الطبقة الأخرى ، طبقة أصحاب الجاه على مطلب آخر تثق به النتائج التي تترتب على استقلال الطبقة العاملة ولم تجد من وسيلة أقرب من تعليم أولادها ليكونوا حكام البلاد . ولكن طبقة الفلاحين أخذت تزاحم الطبقة الأولى في هذا المضمار ، فأخذ الأثرياء منهم يعلمون أولادهم ليكونوا حكاما فنجحوا . ولكن بعد أن ملئت الحكومة عما تحتاج من حكام وكتبة قام شعور جديد بأن أولاد موظفي الحكومة والأثرياء الذين أخرجوا أولادهم من محيط الفلاحة الى محيط العلم أقل استقلالا مع تعلمهم من أبناء الفلاحين الجهلاء . وأصبحنا الآن والموقف بين متعلم عاطل يتطلع الى مرتب أبيه أو ثروته ليعيش ، وفلاح جاهل لا عمدة له في الحياة إلا خبرته الموروثة في فلح الأرض وقوة عضلاته ومحراثه وفأسه وماشيته . فهو رجل مستقل تمام الاستقلال في الحياة ، على العكس من المتعلم العاطل . فاذا كانت الغاية من التعليم تخريج رجال مستقلين يكافحون في الحياة كفاح المنتج لا كفاح المستغل لكفاح غيره ، رأينا أن التعليم لم يف ببلوغ الغاية الأخيرة منه ، ما دمنا نرى أن ابن الفلاح بخبرته الموروثة مستقل في حياته منتج بعمله ، في حين أن المتعلم يفقد مع التعليم استقلاله الذاتي ويتطلع دائماً إلى حياة الركود لا إلى حياة الكفاح التي لم يهيء له تعليمه طريقها الواجب

على أن قليلا من التأمل في هذه الالمامة التي ألممنا فيها بأوجه التطور الاجتماعي الذي انتابنا منذ خمسين سنة خلت ، يحمل الفكر على المضي خطوة أخرى في تأملات إذا أحطنا بها نكون قد فرغنا من التمهيد للفكرة التي نريد أن تكون الدعامة التي يقوم عليها أساس التعليم في مصر ، فنرى ما يأتي :

أولا : إن طرق التعليم التي عكفنا عليها إلى الآن شطرت الأمة معسكرين : الأول معسكر المتعلمين على القواعد الأوربية التي اتبعناها في مدارسنا ، وخرجوا بهذا التعليم عن جو ثقافتنا التقليدية ، فأصبحوا نصف مصريين ؛ والثاني معسكر الفلاحين الذين أبعدناهم عن الثقافة الحديثة ، وحافظنا على ثقافتهم التقليدية فصاروا بذواتهم في القرن العشرين ، وبعقليتهم في مصر الفرعونية

ثانياً : كونا بهذا طبقتين غير متجانستين ، بل مختلفتين تمام الاختلاف ، بحيث لا تجمع بينهما من رابطة إلا الرابطة الطبيعية التي هي رابطة الدم ؛ فكنا في ذلك أشبه بالمستعمر الذي يرغب دائماً في أن يزيد من الصدوع التي تفصل بين طبقات الأمة ، لا أشبه بالمصلح الذي يعمل دائماً على أن يرأب تلك الصدوع ويقرب بين الطبقات حفظاً للتوازن الاجتماعي . ولا شك في أن هذه السياسة تؤدي بطبعها ، وعن غير قصد ، إلى حرب الطبقات التي نحن مقدمون عليها حتماً إذا استمر التعليم على نماذجه الحاضرة وأخذت تلك الصدوع والفوارق تزيد عاماً بعد عام

ثالثاً : دليلنا على هذا أن ابن الفلاح إذا أثرت فيه الثقافة الحديثة ، سواء أكان تعليمه في مصر أم في إحدى جامعات أوربا ، أصبح لا ينشق في جو بلاده نسيم الثقافة التي نشأ فيها ، فتلحظ فيه روح التبرم بأبيه الفلاح وأمه الفلاحة ، وتأنس فيه نزعة قدعة تدفعه دائماً إلى حب المودة إلى الجو الذي نشأ فيه ، فتراه قلقاً غير مستقر ، هداماً لا بناءً ، يريد لو تتاح

له الفرصة ليعود إلى الجو الذي كان فيه ؛ فاذا أعيته الحيلة ، كما يحدث دائماً ، واضطر إلى البقاء في جو بلاده ، هجر الريف ، مرباه الأصيل ومربى آبائه وأجداده منذ قرون طويلة ومنشأ تقاليده منذ أزمان لا تمحيها الذكريات ، ليسكن في مدينة من المدن ، فيفضلها مع عيش الفقر والعوز على الريف مع عيش الراحة والمناءة ؛ وتراه ينزع إلى البطالة في مدينة دون العمل الذي هو أجدر بحياة الرجولة في الريف . ومن هنا تتكون الطبقات المتبرمة بالحياة ، العاملة على الهدم دون الاصلاح ، النزاعة إلى الأفكار المتطرفة والثورات . أولئك الذين عناهم العلامة هنري جيمس في كلمته التي سقناها من قبل

رابعاً : وأنت أينما وليت وجهك رأيت أثر المعسكرين اللذين كونهما التعليم المصري ظاهراً جلياً . فأنت تنتزع الولد من حضن أبيه الفلاح وأمه الفلاحة ، فكأنك تنزعه من حضن « مصر الفرعونية » ، لتنشئه في حضن « مصر الأوربية » ، وتخرجه بعد ذلك قاضياً أو محامياً أو مهندساً أو تاجراً أو رجل إدارة أو غير ذلك ، ولكن بروح أوربية تكسوها ثياب مصرية شفافة ؛ وبالأحرى تخرج رجالاً انبتت صلتهم بتقاليدهم الثقافية القديمة . وأنت في دور العدل وفي المتاجر وفي مراكز الادارة وفي عيادة الطبيب ومكتب المهندس ، واقع في كل دقيقة على مظهر من مظاهر التفرقة بين المعسكرين . فالفلاح البعيد عن مدنية المدن ، وبالأحرى البعيد عن جو الثقافة الأوربية الذي نشأ فيه القاضي والمحامي والتاجر ومأمور المركز ومعاون الادارة وطبيب القرية ، يمثل معسكر مصر الفرعونية ؛ أما هؤلاء فانما يمثلون « مصر الأوربية » ، ولا شك في أن هذا مظهر من مظاهر الانحـــلال الاجتماعي ، لا يسأل عنه في مصر شيء بقدر ما يسأل التعليم

خامساً : بالرغم من أن المتعلم قد نزع بفكره نزعة أبعدته عن ثقافة آبائه التقليدية ، فقد أثرت تلك الحال في مزاجه وتصوراته ونظراته الفنية في الحياة ، تلك النظرة التي يجب أن تكون مصرية صميمة ، ويجب أن نحافظ عليها نقية على سجيتها لنكون مصريين جديرين بالمصرية ، وكان من نتائج هـذا أن المتعلمين يفضلون أقذر قرية أوربية على ريفنا الجميل وبحيراتنا الفاتنة ، حتى لقد كادت تقوى النزعة الأوربيـة فينا على وحي النيل نفسه

والسبب في هذا أننا كنا خلال الخمسين عاماً الماضية كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ، إذ انتزعنا من أرواح ناشئتنا « مصريتها » ، ولم نترك فيها من المصرية إلا لون البشرة ولقحناهم بالروح « الأوربية » فلم نبق مصريين كأهل الريف ولم نستطع أن نكون أوربيين كفتيان « بيكادلي سركس »

سادساً — بدأت هذه الحال تؤثر في مرافقنا الحيوية حتى لقد نزعنا إلى القول بأن كل ما هو أوربي جميل ، وكل ما هو مصري رديء ؛ وكل فكرة مصرية لعب ولهو ، وكل فكرة أوربيـة جد ورجولة ؛ وكل فن مصري بدائي وغير متفق وروح العصر ، وكل فن أوربي مهما كان فيه من بعد وتضاد مع نزعاتنا وتقاليدنا المصرية بل ومع آدابنا المرعيـة والعرف الانساني ، حضارة وتمدين ؛ وشملت هذه الحال فتياننا وفتياتنا فألسنتهم لا تتحرك إلا بكل ما هو أوربي غربي ، وقلوبهم لا تهفو إلا لكل ما هو بعيد عن المصرية

ولا شبهة في أن المعسكرين يتهيآن الآن : الأول للعمل على خراب الريف ، والثاني لا حول له ولا قوة ، فسوف ينهزم ليترك الريف خراباً . وإنما يخرب الريف بخراب القلوب التي يجب أن تؤمن بأن الريف هو مصر ، وأن مصر هي الريف ، وأن المدن أسواق لذلك الريف لا أقل ولا أكثر . إنما يخرب الريف بأن نحب المدينة ونهجر الريف ، فكأننا هجرنا مصر . ولا مخرج لنا من هذا إلا بأن نصل ثقافتنا الحديثة بثقافتنا التقليدية فيكون المصري فلاحاً مصرياً روحاً ونزعة وخلقاً ، ثم قاضياً ومحامياً وطبيباً ورجل إدارة من بعد ذلك . يجب أن تكون ماهيتنا مصرية وأعراضنا أوربية ، لا أن نعكس الآية بأن نمعن أولاً على محو مصريتنا ، فاذا تم لنا ذلك رحنا نتيه بأننا أتينا بأعراض أوربية ولقحنا بها ذوات لا ماضي لها ، وبالأحرى لا ماهية لها

تلك المقدمات لا بد منها إذا أردنا أن نبحث حالتنا الاجتماعية من جهة علاقتها بالتعليم . وسنرى في البحوث التالية كيف يمكن أن نستفيد منها

اسماعيل مظهر

# قصة المكروب

## كيف كشفه رجاله

ترجمة الدكتور أحمد زكى

وكيل كلية العلوم

## بستور Pasteur والكلب المسعور

### وصل الفائت

اكتشف بستور لقاحا لداء الكلب هو عبارة عن ١٤ حقنة من مكروبه بعد اضعافه إضعافا متفاوتا فى القدار يحقن به المريض . وجرب هذا فى الكلاب فكان النجاح . فلما أراد تجريبه فى الآدميين تخاذل وخشى العاقبة . حتى جاءه ولد عضه كلب مسعور فأشار عليه الأطباء بتجربة اللقاح فيه لأنه ميت لا محالة ففعل ونجح اللقاح ، وكان أول لقاح نجح فى آدمى

عندئذ ذهبت عن بستور مخاوفه ، وفارقته وساوسه . فكان موقفه من هذا الطفل هو عين موقفه من أول كلب حقنه رُو Roux باللقاح فى مخه بغير رضا أستاذه . خشى بستور على الكلب أن تُثقب جمجمته ، فلما ثقبها رُو بغير علمه وصح الكلب من بعد ذلك ، أكبَّ بستور على رؤوس الكلاب تثقيباً وعلى جماجها تخريقاً . وها هو ذا الآن يخشى عاقبة اللقاح الجديد على الطفل المكلوب ؛ فلما صح الطفل واشتفى من دائه ، ماتت فى نفس بستور شكوكه ومخاوفه ، تلك الشكوك والمخاوف التى لم تتغلغل أبدا فى نفسه تغلغلا كبيرا ، ومع هذا تراءت له جسيمة وافحة ، أرته إياها نفسه الفنانة وهى تكثّر القليل وتجلو الغامض . ثم إذا به يصيح للدنيا يُعلن أهل الأرض أن فى إمكانه دفعَ الكلَب عنهم وحمايتهم من بلوائه

وأخذت جماهير المكلوبين المعذبين تندفع الى معمله بشارع ألم Ulm تطلب ربّه ، ربّ المعجزة الكبرى . وجاء على هذه الحُجر القذرة القليلة حينٌ من الدهر وقف فيها البحث العلمىّ وقوفا كاملا . واشتغل بستور وعونه فى فرز الخلائق التى اجتمعت عليهم من كل أمة . وتعددت لغاتهم ، فكنت تسمع أنغاماً متنافرة ، وألسنة متباينة ، كلها تصيح صيحة واحدة : « بستور ! أنقذنا ! » فلبى نداءهم وأنقذهم ؛ هذا الرجل الذى لم يكن طبيباً يوماً ما ؛ هذا الرجل الذى كان يقول فى سخرية يمازجها العُجْب : « هل أنا إلا كيميائى ؟ » . نعم أنقذهم رجل العلم هذا الذى قضى حياته ينازع الأطباء ويخاصمهم خصاماً مرّاً ؛ أنقذهم بأن حقنهم بتلك الأربع عشرة حقنة من مكروبه المجهول المضعّف بعضَ الاضعاف ؛ تلك الأربع عشرة المعقدة التى لم يستسغها عقل أو يألفها منطق : حقَن تلك الأربع عشرة فيهم ثم ردّهم بعدها مُعافين إلى أركان الأرض الأربعة

وجاءه من روسيا من بلدة سملنسك Smolensk تسعة عشر فلاحا من الوجيك عضهم ذئب مسعور قبل ذلك بتسعة عشر يوماً . وجرح الذئب خمسة منهم جروحاً بالغة فعجزوا عن السير فلم يكن بد من إرسالهم الى المستشفى الكبير . وكان منظر هؤلاء الروس غريبا فى طواقى الفرو فوق رؤوسهم وهم ينادون : « بستور ! بستور ! » وهى الكلمة الوحيدة التى عرفوها من لغة البلد الذى حلّوا فيه

وثارت ثائرة باريس — على نحو لا يعرفه إلا باريس — قلقاً على هؤلاء المنكوبين الذين لا مفرّ لهم من الموت بعد أن طال الزمن عليهم مذ عضهم الذئب بنابه . وتحدّثت باريس فلم يكن لها غير هذا من حديث . وقام بستور ورجاله بحقن الألقحة فى هؤلاء المناكيد الذين نضب حظهم من الحياة وقل رجاؤهم فيها . فالعشرة كان يعضهم الذئب فيموت منهم على المعروف ثمانيــة ، فكان على هذا الحساب لابد أن يموت من أصحابنا خمسة عشر

قال الناس حينما اجتمعوا : « من الجائز أن يموتوا جميعاً فلا ينجو منهم أحد ؛ فقد مضى على عضهم أسبوعان وزيادة . مسا كين والله ! وستظهر عليهم أعراض الداء ، وستكون شديدة فظيعة . ضاع الرجاء فيهم وحُمّ القضاء ! »

ولعل الناس صدقوا فيما قالوا ! ولعلهم حقا جاءوا بعد فوات الأوان ! وعزّ على بستور الطعام ، وعزّ عليه النوم ، فانه خاطر فأمر رجاله فحقنوا الألقحة الأربع عشرة فى هؤلاء التعساء صباح مساء ليقتصدوا نصف الأيام الضائعة عسى أن يلحقوا بالداء فينفع الدواء

وأخـ ... ح بستور صيحة الفخر عالية ، وصاحت باريس وفرنسا ... نيا أجمع صيحة الشكر ، وأنشدت أنشودة النصر ... ة داوية . فاللقاح أنجى الفلاحين الروس إلا ثلاثة . فعاد الـ ... حون إلى بلادهم فاستقبلهم بذلك السرور الرهيب الذى تجده القلوب إذا هى دُعيت للترحيب بميّت منشور ، للترحيب بهؤلاء الرجال المرضى الذين ودّعوا بلادهم والأمل منهم مقطوع ، فزاروا لاشك حرماً قدسيا لولىّ من أولياء الله ، ثم عادوا يسعون على أرجلهم إلى ديارهم سعى الأحياء . وبعث قيصر الروس الأعظم إلى بستور صليب القديسة حنا السامىّ ومائة ألف من الفرنكات ليبدأ بها فى بناء بيت لصيادة المكروب . فقام هـذا البيت فى شارع ديتو Dutot وهو المعمل الذى يُسمى اليوم معهدَ بستور . وجاءه غير المائة ألف مال من العالم أجمع ، من كل قطر من أقطاره ، وكل ركن من أركانه ، حتى تكدّست لدى بابه الملايين من الفرنكات ليبنى بها المعمل ليقتنص فيه مكروبات فاتكة أخرى ، وليجد لها فيه ألقحة ماضية أخرى . نعم تكدست الملايين على بابه ، فقد كانت عاطفة قوية تلك التى أندت أكُفّ هذا الخلق الكثير ، عاطفة قوية كالتى تثيرها المصائب إذا نزلت بالناس فادحةً شاملة

وتم بناء المعمل ؛ ولكن كان عمل بستور فى الحياة قد تم كذلك . فلقد كان نصره الأخير كبير الوقع فى نفسه ، ثقيلا على فقار ظهر احتملت أثقال العمل الشديد مدة أربعين عاماً فى تواصل لم يُسمع بمثله أبدا ، فناء جسده تحت آخر الأحمال ، وانقطع وتره بآخر الأثقال ، فمات فى عام ١٨٩٥ فى بيت صغير كان على مقربة من البيوت التى حفظوا بها عندئذ كلابه المسعورة فى فلنوف ليتانغ Villeneuve l'Etang على أطراف باريس . ولفظ آخر أنفاسه كما يلفظها الكاثوليكىّ العريق فى كثلكته أو الصوفىّ وقد كانه طول حياته : فى إحدى يديه كان الصليب ، وفى اليد الأخرى كانت يد أكثر أعوانه صبرا وأقلهم شهرة وأكبرهم خطرا — تلك مدام بستور . وكان حول سريره عَوْنه رو وعونه شمبرلاند ، وأعوانه الباحثون الآخرون ؛ أولئك البُحّاث الذين براهم نشاطه الجمّ فى حياته بريا ؛ أولئك البحاث الذين أسلموا له القياد فدار بهم فى هجيرة العمل دوراناً مستديماً قاسياً مرا ؛ أولئك الأعوان الذين أوحى إليهم من وحيه واقتبس لقلوبهم قبساً من قلبه ؛ أولئك الخلصاء الذين خاطروا بأرواحهم فى انفاذ خططه الجامحة فى محاربة الموت ، قاموا اليوم حول سريره يودّون أن يفتدوه لو أمكن الفداء

هكذا انتهت حياة هـذا الرجل خير انتهاء . هذا الانسان الغالى فى إنسانيته ، صائد المكروب ومنجى الأرواح ، الثائر الوثّاب ، الناقص الخطّاء !

ولكن لبستور خاتمة حياة أخرى يتجه لها خاطرى أكثر من اتجاهه لهذه . كانت فى عيد ميلاده عام ١٨٩٢ حين استـ... سبعين عاماً كاملة ، فاحتفلوا به فى السربون بباريس احتفالا عاماً رائعاً كبيرا أهدوا إليه وساما . وكان لستر Lister حاضرا وكان رجال كثيرون مشهورون من أمم أخرى حاضرين ، فاحتل هؤلاء العظماء رقعة المكان الدنيا حيث مجالس العظماء ، واحتل الطبقات العليا من حولهم شباب فرنسا وطلاب السربون والكليات والمدارس العليا ؛ وامتلأ المكان بالأحاديث واختلطت به أصوات فيها رنة الشباب . وفى برهة قصيرة انقطعت الأحاديث ، وهدأت الأصوات ، وخيّم على المجتمع صمت رهيب ؛ ففى الممشى تراءى بستور يجر خطاه عرجا ؛ وقد أخذ رئيس الجمهورية بذراعه واتجه الاثنان إلى المنصّة فى رأس المكان ، وصدحت موسيقى الحرس الجمهورى بدور جَلْجَل فى الفضاء ، كذلك الذى يُتحى به الأبطال العظماء وقد عادوا من ساحة النصر بعد أن روّوها عبثاً بدماء الأعداء ، وحجبوا ثراها بغير طائل بألوف الأشلاء

## بستور يموت

وكان فى الحاضرين لِستر Lister أمير الجرّاحين ، فقام واحتضن بستور ؛ وهتف الشيوخ الأجلاء من مجالسهم ، والشبان الطلاب من شرفاتهم ، حتى ارتجت الحيطان ؛ وأخيراً جاء دور الكلام لصاحبنا صياد المكروب الشيخ ، وكان قد ذهب عنه صوته الحديد الرعّاد الذى كان يرفعه فى الخصومات عاليا ، فقام نجله يقرأ عنه خطابه ؛ وكان ختام هذا الخطاب أنشودة للرجاء ، لا بما تضمنته من خلاص الأنفس ، بل على الأكثر بأنه دعوة دينية حارة تفتح للرجال سبيلا جديداً من الحياة ؛ وكان بها يدعو شباب الجامعة وطلبة المدارس العالية ، قال :

# المازنى العاشـــق ...!

للأستاذ «أبو سلمى»

---

ما قرأت كلة أستاذنا المازنى «فى الحب والمرأة» إلا أيقنت بالك مؤامرة على الحب — واحسرتا — فجزعت .....

الأستاذ المازنى فانه إذا لوّح بيده أو زوى ما بين عينيه خصومه الرايات البيض ....

ولا على المرأة ... فان لها من لسانها الطويل ـ بقطع النظر إذا كان وراءه شىء أم لا ـ ما قد تستطيع به الوقوف المازنى ...

ولكننى جزعت على الحب فى هذا الزمن الذى طغى فيه ل ـ أومجموعة الاختبارات والأمزجة والطباع ـ ولو أستطيع ت به (أى العقل) مربوطا بكتلة من الحديد تثقله ـ إلى الهوة حيقة التى تليق به

والمازنى عزيز على إخوانه وتلامذته ـ وأنا منهم ـ المنتشرين كل قطر، وحبيب إلى قلوبهم ـ وهم عدد النجوم ـ وما كان لثلى أن يرفع يده وهى شلاء أمامه، ولكن حملته على الحب والمرأة أثارت علىّ جنودا لا قبل لى بها، تعرف عطفه علىّ وحبه لى، وهو أدرى بقوتها ..

وما دام المرء يخلق كل يوم خلقاً جديداً فلم لا تأخذ الخلقة التى نميل إليها وتستهوينا؟ وما دام الانسان يتحول إلى صور شتى فلم لا نهفو إلى الصورة التى تروق فى أعيننا؟ والحياة قصيرة، والهوى فضّاح، فلأعد إذاً إلى أعماق الماضى، إلى المازنى الفتى الذى دفنه:

مات الفتى المازنى ثم أتى    من مازن غيره على الأثر

أزيل عنه اللفافات وأبعثه بشراً سوياً تتوهج عيناه بنور قلبه ...

أيها الفتى المازنى! أين أنت تنتقم من المازنى الذى أتى على الأثر وتكون لنا عوناً عليه؟! ... ألست أنت الذى كنت تطوف حول دار الهوى وتتمتم وعيناك نديتان:

أوصـدوا الأبواب بالله ولا
تدعوا العين ترى فعل البلا
وامنعوا دار الهوى أن تبذلا

إن للدار علينا ذمما    وقبيح خونها بعد الخراب

من قصيدة «الدار المهجورة»

ألست أنت الذى كان يحوم حول الحى فى الليل مضلل الرقيب، وجامع الحبيب بالحبيب ـ ولا أدرى إذا كنت تلبس طربوشاً أم لا ـ فتنظر إلى شباك حسناتك وروحك تتراءى خلف مقلتيك حيناً وفوق شفتيك حيناً آخر، حتى إذا رمتك باللحظ زفرت وأنشدت:

ما أفصح اللحظ يا حبيبى    وأعذب البث بالعيون
لحظ يفىء الذى توارى    فى ظلمة الغابر الدفين

من قصيدة «لحظ الحبيب»

فاذا هبطت ـ هى ـ إلى الحديقة واختبأت بين الأغصان أنبأك همس الأزهار عن مكانها فتقول:

وودت لو تنفـــع الأمانى    لو كنت لدناً من الغصون
وليتنى صـــيدح يغنى    فى ظلك الوارف الأمين

من قصيدة «لحظ الحبيب» أيضا

فاذا نادتك وظهر اللفظ من بين شفتيها مشتعلاً يهديك إلى دنيا الغرام هتفت أنت:

أظل إذا استنّك فى مسمعى    يرفّ علىّ جناح الغرام

---

«لا تسوموا أنفسكم التشككَ فى الأشياء، فالتشكك أرض ملة لا تُنبت، وسحاب جهام لا يُمطر؛ ولا تحملوها على بية فى قيم الأمور وأوضاعها فتحملوها على الزهادة وتُفقدوها قةَ بالله. واحذروا أن تركنوا إلى اليأس من أجل ساعات وداوات تأتى على الأمم! ذلك أن لكل حال غاية، ولكل كرب نهاية، والليل الأسود يعقبه النهار الضاحى. اطلبوا العيش ، المعامل والمكاتب، ففى أجوائها الساكنة تجدون طمأنينة لنفس وسلامها. سلوا أنفسكم: ماذا صنعت أيتها الأنفس بالذى كان من تعليم وتثقيف؟ فاذا تقدمت السنُّ بكم فسلوها ثانية: رماذا صنعت لهذا البلد الذى من أرضه كان غذاؤك ومن مائه كان ماؤك. حتى إذا جاءتكم الشيخوخة فلعلكم عندئذ تجدون أكبر الهناءة فى الاحساس الغمْر اللذيذ بأنكم ساهمتم مع المساهمين وعملتم مع العاملين بطريقة أياً كانت لتقدم هذه الانسانية وخيرها ...»

(انتهى بستور)    أحمد زكى

شفاه تـ. جرن أنفاسه ويلثمن ألفاظهن الظواى
من قصيدة « لفظ الحبيب »

وملف اليها ، ويلفكما الليل فى طياته « كما يغيب سر المرء كتمان » والكلام لك ، فتناجيها :

عجب كيف يرتضى البعد عنا من عبدنا فى حسنه الله جلا
أنت أفسدتنى وعلمتنى الحب فهلا أصلحت منى هلا
كان خيراً من السهاد رقادى فى حمى ظلك الوريف وأحلى
من قصيدة « المناجاة »

وتشير اليك بتلك اليد التى كنت تعتقد أنها تفتح لك طريق سعادتك فتطمئن الى الصدر الرحيب ، وتغفو بين الأحلام على ترنيمتها :

نم هنيئاً فى ظلى الفينان وانس برح الهموم والأشجان
وانس ما كان من زفير على الهجر ودمع يجرى بغـير عنان
هذه راحتى على وجهك الغض وروحى وريفـة الأفنان
وفؤادى مرفرف بجناحيه حنانا فانشق نسيم الحنان
من قصيدة « رقية حسناء »

وحينما تقضى لبانات الفؤاد المعذب تودع الحبيب وتقول :

ودعته والليـل يخفرنا والبدر يرمقنى وأرمقه
ولرب خـد بت ألثمه والدمع يطفىء ما أحرقه
والورد أقطفه لوجـنته والشوك فى قلبى مفوقه
من قصيدة « ليلة وداع »

ثم يلج الوجد فيوشى جنبات الأفق ويصبح الفتى المازنى « مثلا شروداً فى الهوى ... »

وبعد ، فحالات أستاذنا المازنى كلها حسنة مشرقة إشراق الابتسامة العذبة ، ولكن أحسنها عند إخوان الصفا هى هذه الصفحة العطرة التى تندى شبابا وصبابة ، فاذا أراد أن يعفى على أثرها ولو بالسيف ، فليعلم أننا نجتليها ولو من بين الغمام لامعة وهاجة ؛ وإننا وإن دوى فى الآفاق صوته الرنان يسمع الصم ، نرجو منه أن يعلم أن هذا الصوت الداوى الآن — بشأن الحب المرأة — يتسرب من بين الطبقات ويصلنا ناعماً ليناً ويقف على أبواب القلوب

وإن هذا الحب الذى أصاب منه « شبعه » كان غذاء الوحيد فكان يئن ويحن وينشد :

غذائى الحب يا من فيه حرمان منى له أبداً ما عشت نشدان
وهل غذائى إلا أن أراك وأن يمر بالسمع لفظ منك فتان

مالذة القلب خلوا من دخيل هوى ما الليل إن لم يكن بالصبح
مالى بغير الهوى فى العيش من أرب
ولا بقلبى أحقاد وأضغان
من « مناجاة هاجر »

والشعر . . . — لقد نسيت — الشعر الذى قلت ء يلبس الحب أستاراً تبعده عن الحقيقة . . . ومن يعلم أ يؤدى رسالة الشعر ، ويحسن صنعاً خوفا من ألا يكون الأستار شىء من الحقيقة — كما تقول الأساطير —

نعم أنت كنت تقول فى الماضى :

أما ترى غايتى فى الشعر واحدة وإن تباين أوزان وأ
فما أحوك على الأيام قافيـة ألا وفيها على حبيبه ء

وما قيمة الشعر إذا لم تردده شفتان مرتجفتان أو . . تلهث به قدمان صغيرتان

ولكننى أخشى ...وهنا أضع يدى على قلبى . . . . أ- أن يكون كلامك عن الحب والمرأة نتيجة استبداد بك وممن ؟ ... من امرأة ؛ فندينك بقولك :

وإنى عاشق كتوم يبطن غير الذى يقول

(القدس) أبو سلمى

تاريخ في سير أبطاله

# ٢ ـ مـــــيرابو

ميرابو ... تلك الأعجوبة !
جوته

## للأستاذ محمود الخفيف

وكان الملك قد أخذ بنصيحة نكر حين اشتدت الضائقة المالية فأجاب الشعب إلى دعوة مجلس طبقات الأمة إلى الاجتماع وهو مجلس قديم شهدت فرنسا آخر اجتماع له عام ١٦١٤ ، وقد حدد لاجتماعه اليوم الخامس من شهر مايو سنة ١٧٨٩ ، وكان الغرض من اجتماعه ، مشاورة نواب البلاد في مخرج من الأزمة المالية

ولكن هل كانت الضائقة المالية كل ما يشكو منه الشعب ؟ كلا ؛ إن فرنسا إذا أردنا الواقع كانت على أبواب عصر جديد ، بل إن تاريخ العالم كان في مستهل فصل جديد ! فما كانت الثورة مهما اختلفت مظاهرها إلا أوبة الشعب من غمر القرون أو من مجاهل النسيان ، كانت حركة لا محيص عنها ، حركة أدى اليها تطور الزمن على وجه معين بحيث لم تكن الأيام لتلد غيرها

ها هو ذا الأفق الباسم تنشق جوانبه عن جبين الصباح بعد ليل طال واشتدت حلكته ، ولكن ما تلك الخطوط الحمراء التي يراها ميرابو ويوجس في نفسه خيفة منها ؟ ! إنه يرى فيها نذير الشر والفزع الأكبر . يا له من رجل عجيب ! إنه يتشاءم والقوم متفائلون ؛ إنه يرى ما لا يرون ، ولكن لينتظر ما تأتي به الأيام !

الشعب مبتهج يبسم له الأمل ابتسام الربيع من حوله ، أنظر اليه غداة افتتاح المجلس في طريق نوابه تكاد تنشق حناجره وتدمى أكفه من كثرة ما يهتف وما يصفق . يالله ! ما له يطرق في وجوم كلما مر به أحد السادة من النبلاء أو القساوسة ؟ هل آن لتلك الجموع أن تفرض سلطانها وتجبر القوم على الاعتراف بها ؟ من ذلك الرجل العابس المهيب الذي تتناقل الألسن اسمه وتتدافع الجموع لرؤيته ؟ انه بعينه نائب اكس الكنت ميرابو !

اتخذ ميرابو كرسيه وسط العامة ، وقد تهامس الأشراف عند دخوله المجلس وتخاطبوا بالأحداق ، على أنه كان يزدريهم أكثر مما يزدرونه ، ويمقت في أشخاصهم العهد القديم ونظمه وتقاليده

ودخل الملك القاعة في حاشيته التي تتجلى فيها ترفع الملكية واستكبارها ، وألقى على النواب خطابا ارتاحوا الى ما جاء فيه من أماني ، وهتفوا لما تضمنه من عبارات العطف ، ثم قام نكر فأكد رؤوس سامعيه بخطاب طويل نصفه أرقام !

تبع الأشراف والقساوسة الملك الى خارج القاعة وبقى العامة في أماكنهم وبينهم ميرابو يشيع الملك ووزيره بنظرات المقت والسخط . ولقد رأى النواب في ملامح وجهه أمارات الغضب ، وفسرها الأشراف بأنها مظاهر الحقد الدفين والغل الشخصي

ولكن ميرابو أصبح اليوم غيره بالأمس فلقد ودع حياة السفه والتمرد ، وأصبح السياسي المتزن المهيب الجانب ، الذي يتوقف مصير الحوادث على ما يصدر عنه من قول أو فعل

إنه لا يطمئن الى المستقبل ويرى الأمور تنذر بالكارثة ما لم تعالج بالحكمة . ولقد درس نفسية الشعب خارج المجلس وعرف أن له أطماعا لابد من تحقيقها . لم يكن الناس ليرضوا أن تؤخذ الأصوات في المجلس باعتبار الطبقة فيفوز الممتازون ، ولا يكون لمساواة العامة إياهم في العدد أية قيمة . وكان الشعب ونواب الشعب يلحون في أن يكون التصويت باعتبار الرؤوس . كذلك كان الشعب يطمع أن يكون للمجلس مكان مستديم في النظام الحكومي ، ويكون لما يصدر من آراء أثر في سياسة الدولة . وكان ميرابو يسعى جهده في أن تعلن الحكومة موافقتها على ذلك في أولى جلساته خشية أن ترغم على ذلك فيما بعد فيؤثر ذلك أسوأ الأثر في مجرى الحوادث ، ولكن الحكومة أغفلت الأمر ، فكان محقاً في حنقه وتبرمه

كان يفطن ميرابو أكثر مما يفطن غيره الى انبعاث الشعب واحتضار الملكية . وكان يرى الملكية وقد أثقلتها تقاليد الماضي تكاد تسقط من الأعياء ، حتى لقد قيل عن لويس السادس عشر إنه ورث عن آبائه الثورة والعرش معاً ! ولقد كان هذا الملك المسكين يهرول تارة ليدرك الزمن فتنقطع به الأسباب ، ثم يكاف الأيام ضد طباعها حيناً فتسخر منه الأيام ! وكان ميرابو يرى بنافذ

يصره أن سـ رمة الملكية وسلامة الوطن كلتاهما تتوقف على التوفيق بين الملك والشعب ، ولا سبيل لنجاح الثورة غير هذا السبيل

أرسل الى نكر يقول له : « صدقني أيها الوزير أن مصير الملكية فى فرنسا متوقف على ماسيكون من أمر هذا المجلس ، وخير لك ولهذا البلد المسكين أن تواجه المجلس بما يحقق أماني الشعب »

ولقد أعد ملتمسا ليتقدم به الى الملك فى الجلسة الأولى ؛ ويقال إن الملك بادر الى الخروج عقب انتهاء الاجتماع لما علم من عزم ميرابو . ومما جاء فى هذا الملتمس : « أضف إلى مآثرك أيها الأمير المعظم إجابة الشعب الى رغبته يبق الصولجان فى يدك ، فانني أخشى إن رفضت أن يشهر فى وجهك . »

يالهذا الرجل من بطل ! كيف ينقلب سلوكه هذا الانقلاب المدهش ؟ إن المرء ليلمس أهم ناحية من نواحي عظمته فى ذلك التحول ، وما عرف التاريخ قبله رجلا درج من مثل ماضيه فوصل الى مثل ما أتيح له من مجد وعظمة وكمال سياسي

كان منطق الحوادث يقضي بأن يرى ميرابو فى الثورة فرصة لشهواته ومرتعاً لمآربه ، فيصبح فى غمرتها الرجل الأحمق الذى يهدم ولا يعرف غير الهدم ، ويبطش ولا يستطيع أن ينهض لغير البطش . ولكنه ما عرف الهدم ، وما كان رائده سوى البناء كأحسن ما يكون البناء ! وذلك لعمرى من عجائب الأيام ! ولكنه سر العبقرية

أجل ! لقد جد الزمان فأثار جلال الموقف كامن مواهبه ، ولامس موضع العظمة من قلبه ، ورأى فى الثورة حادثاً نبه نفسه الى حقيقتها ، أو قل إنه وجدها كفؤا له كما وجد نفسه كفؤا لها

وسنرى أن جهاده منذ اليوم سيكون شاقاً مريراً ، فان من يهمهم أمر الوطن من الوزراء ورجال الدولة من أمره فى ريبة ، لا يأمنون أن يتخذ من حرج الأمور وسيلة إلى أغراضه الخاصة كما كانوا يزعمون ، بله ما كانوا يضمرونه له من حقد وما كانوا يكنونه من حسد ، حتى المستنيرين من معارفه ومقدرى نبوغه لم يكونوا أقل من هؤلاء حذرا منه ، وكانوا فوق ذلك يترفعون فى صلف عن مدارسة رجل له مثل ذلك الماضي ! مما كان يملأ قلبه غيظاً . والملك ؟ أيستطيع أن يصل اليه وله من بطانته أسوأ حجاب ؟

وهو لا يثق فى نواب العامة ، ويخاف أن يؤدى نز[...] وجهلهم إلى الكارثة . قال يصفهم ذات يوم : « أكثر من خمسمائة عضو لا يعرف الرجل منهم جاره ! أتوا من جميع أ[...] المملكة ، لا يجمعهم نظام ، ولا يلم شعثهم زعيم ، ولن تجد [...] ذا نفوذ ، أو تتبين فيهم من يأخذ نفسه بأى ميثاق من موا[...] الطاعة ، وكلهم ميال الى أن يصغى اليه قبل أن يـ[...] هو الى أحد . . . »

أرأيت موقفاً أشد من هذا الموقف حرجاً ؟ ولكن كان حرج الموقف يعمى بصيرته عن سبيل الرشاد ، أو يـ[...] السأم إلى قلبه ؟ كلا فما خلق مثله إلا للشدائد ، وما يظهر [...] أكثر ما يظهر إلا فى الملمات . وهل كانت تستطيع السفينة تسير بلا ربان فى مثل تلك الأنواء ؟ ومن ربانها إن لم [...] هو ربانها ؟ لم تمض أيام حتى صار بين نواب العامة القدم علي[...] يستقيمون على ما يرسم من طريقة وإن لم يعلنوا زعامته [...] ويتجهون بأنظارهم اليه إن سدت فى وجوههم المسالك لم يظهروا له ما هو جدير به من عطف ومحبة ، ولكنه كأخير[...] لم يكن ليصده عن مصلحة وطنه ما ينال شخصه من إهانة ، ذلك من سر عظمة الرجل ما هو جدير بالاعجاب

وكان إلى جانبه الأب سيس ، ينقل إلى نواب العامة ماأوحى اليه ، وكان هذا الرجل قد آثر صفهم على صفوف الأشراف فعل ميرابو من قبل ؛ وكان لشخصه فى قلوبهم مكانة قو[امها] الحب ، إن لم يكن قوامها الاعجاب

أخذ الأشراف ورجال الدين يجتمعون كل طائفة فى حجرة وعولوا على أن يكون اقرار المسائل باعتبار الطبقة ؛ ولو طاو[عت] العامة إلى ذلك لكان للثورة اليوم سيرة غير سيرتها . ولـ[كن] أنى للعامة أن يقروا على أنفسهم عملا يطوى بهم القرون الوراء ، وهم يتعجلون الزمن ، ويودون لو يسبقونه إلى غاية الأمل الوليد ؟ على أنهم ما كانوا يريدون بملكهم العابث شرا [فى] ذلك اليوم ، ولكن شطط رجال البلاط وسوء تدبيرهم سيجعل من هذا المجلس هيئة تقلب نظام الحكم فى فرنسا ، بل و[تدفع] تاريخ البشر إلى طريق جديد

وما كان ميرابو ليرضى أن يطيع أصحاب الامتياز

نهم الشائن وإن كان يخشى أن يؤدى احراج العامة واعناتهم التذمر فالهجوم ، فيتدخل الملك وهو لا يريد أن يتدخل إلا بما يرضى الشعب ؛ هو لا يحب أن تبغى إحدى القوتين الأخرى ، ولذلك فهو يسعى ويواصل السعى ، ويدعو ويكرر دعوته الى الأناة ، حتى يصيخ له من صفوف العامة رجل سيد لم يكن سوى سيس ، وسرعان ما يأخذ العامة بنصيحته لسان سيس ، فيقفون من الأشراف موقفاً حكيما هو انتهاج السياسة السلبية ، فيأبون أن ينتخبوا لهم هيئة داخلية تشعر بقبول انعزال مجلسهم ، كما يرفضون أن يتسلموا الرسائل الموجهة اليهم باسم رجال الطبقة الثالثة

كان يرجو ميرابو أن يخرج العامة من المأزق دون شحناء أو اعتداء ، ولكن العامة انتظروا حتى ملوا الانتظار ، فاقترح عليهم قرب نهاية مايو أن يرسلوا الى رجال الدين ، وقد أنس من فئة منهم العطف على العامة ، يدعونهم باسم الله وباسم الانسانية والسلام أن ينضموا اليهم

وفى اليوم العاشر من يونيو اقترح سيس ارسال دعوة نهائية الى رجال الطبقتين يطلبون انضمامهم الى صفوف العامة ؛ وسواء قبلوا الدعوة أو لم يقبلوها يجتمع نواب العامة وحدهم للعمل باسم الشعب الفرنسى كله . وأخيراً حين رفض رجال الطبقتين دعوة العامة أعلنوا فى اليوم السابع عشر من يونية قرارهم الخطير أنهم هم « الجمعية الأهلية » فخطوا بذلك أول خطوة نحو الثورة

أشفق ميرابو وقد فهم مغزى هذا القرار على الجمعية وأيقن أن الملك لا بد مجيب على ذلك بضربة حاسمة ، إذ ما الذى يمنعه أن يباغتهم بمرسوم يحل به المجلس كله ؟ ولذلك فقد احتاط للأمر وتوقى الخطر قبل حدوثه . فتقدم إلى الجمعية باقتراح قبلته وأعلنته ، ومؤداه أن نواب الأمة يقررون أن الضرائب القائمة غير شرعية ، ولكنهم لا يمانعون فى جمعها ما دامت الجمعية منعقدة ؛ وكانت هذه خطوة سديدة موفقة من جانب ميرابو

على أنه ظل يحسب للموقف حسابه . فما كان الاشراف ورجال البلاط ليقابلوا عمل الجمعية بالسكون ، وكان ميرابو قد واجه ثورة النواب فى نقاشهم قبل أن يطلقوا على جمعيتهم ذلك الاسم ، وطلب اليهم أن يبحثوا عن اسم آخر لا يتضمن مثل ذلك التحدى ، ولكنهم أعرضوا عنه فلم يجبن عن أن يعلن فيهم « أن نفوذ الملك وحقه فى (الفيتو) لا بد أن يكون أمراً أساسياً فى الدستور ، وبغير ذلك فانه يفضل أن يقيم بالقسطنطينية على أن يعيش فى فرنسا ، لأنه لا يرى أخطر من تسلط ستمائة رجل على شؤون الدولة »

ولقد ذاعت الاشاعات يومئذ أن ميرابو أخذ من الملكة مبلغاً طائلا ، وهكذا يأبى شؤم طالعه إلا أن يلازمه فيرمى بالخيانة منذ ذلك التاريخ الباكر

اعتزم الملك نقض قرارات الجمعية ، وعول على الذهاب بنفسه اليها ، وحدد لذلك اليوم الثالث والعشرين من يونيه ، وفى صباح اليوم العشرين من ذلك الشهر حين لم يستطع نواب الشعب الاجتماع فى دار الجمعية بحجة إعدادها لدخول الملك فقد توجهوا إلى ملعب التنس المجاور لها ؛ وهناك وقد أخذ الحماس من قلوبهم كل مأخذ أقسموا أنهم لن ينفضوا حتى يضعوا للأمة دستوراً ، فكان هذا أحد أيام فرنسا المشهورة

ما للسفينة تجرى تسخر بالأنواء وتستخف بما يحيط بها من موج كالجبال ؟ أدر الدفة يا ربانها ليس لها غيرك يوجهها إلى شاطىء السلامة !

دخل الملك فى اليوم الموعود ، وقد تكلف أكثر ما يطيق من الجد والحزم ، وأعلن نقض قرارات ١٧ يونية ، وأمر أن تجلس كل طبقة على انفراد ليكون صدور الأصوات بالمجالس لا بالرؤوس ، وعلى الجميع أن يصدعوا بما يؤمرون وإلا فانه « سيعمل ما تقتضيه مصلحة البلاد معتبراً نفسه نائبها الوحيد »

طرب الأشراف ومن يشايعونهم من رجال الدين لذلك الوعيد ، وقاموا إلى مجالسهم بعد مبارحة الملك القاعة ، وبقى نواب العامة فى أماكنهم جامدين . أخذتهم الحيرة فلا يدرون ماذا يفعلون ، واستولى الرعب على أفئدتهم ، فعلى وجوههم صفرة كئيبة ، وفى عيونهم دهشة ومسكنة ، ولكن ميرابو لم يخلق الفزع لمثله ، فوثب من مكانه وفى عينيه الواسعتين نظرات الليث ، وراح يزأر فيهم مذكراً إياهم بقسمهم . فأعاد إلى قلوبهم الحمية ، ثم دار بعينيه فاذا كبير الأمناء يسأل النواب فى صلف : « ألم يسمعوا أمر الملك ؟ » وفى تلك اللحظة الرهيبة التى ولدت للعالم عصراً جديداً يأبى القدر إلا أن يجعل من ميرابو ترجمانه ، فيصرخ فى رسول الملك قائلاً : « نعم أيها السيد ! سمعنا ما أوعز إلى الملك

بالقائه علنا رئست أنت ، ولم يكن لك من مركز أو حق يبيح لك استكلام فى هذا المجلس . نعم لست أنت الذى يذكرنا به . إذهب فقل لمرسليك إننا هنا بإرادة الشعب ، فلن نبرح مكاننا إلا على أسنة الحراب »

وتصايح النواب قائلين : « هذه إرادة الشعب » . « الشعب لا يتلقى أوامر من أحد » ، وقام سيس يذكرهم أنهم اليوم ما كانوا بالأمس ؛ ولم يخن ميرابو حضور ذهنه وسط تلك الحماسة ، فأعلنت الجمعية اقتراحه بأن رجالها منذ اليوم فى حصانة ، وأن العمدى عليهم جريمة كبرى !

أرأيت كيف هيأت بسالة ذلك الرجل له موقفاً أصبح فيه بحيث يتوقف مصير الحوادث على ما يفعل أو يقول ؟ وسرعان ما تجاوبت أنحاء فرنسا أنباء ذلك الرد التاريخى ، وجرى اسم ميرابو على كل لسان فى باريس وطبع شخصه فى كل قلب

من ذلك اليوم أصبح ميرابو زعيم الشعب غير مدافع ، وان تم له ذلك فملازمن قبل ، واذا كانت الحوادث تخلق الرجال كما يقولون ، فن الرجال من يخلق التاريخ . وما تاريخ البشرية اذا أردت اليقين إلا تاريخ عظمائها . ولقد كان ميرابو من هؤلاء النفر الذين يربون جيلا ليلدوا غيره ! وانى لأجرؤ فأزعم أنه عندى أول زعيم شعبى بالمعنى الحديث . إذ كان التاريخ يومئذ ينتقل من فصل إلى فصل كما رأينا

وكان انتقاله هذه المرة على أساس جديد ، على أساس شعور الفرد بوجوده فى شكل ديمقراطى لم ير العالم نظيره منذ ديموقراطية أثينا . أجل ، لقد جاءت الأنباء من وراء المحيط بانتصار الحرية على يد بطل من أهم أبطالها هو واشنطن ؛ ولكن الفرق بين الحركتين كالفرق بين الرجلين ؛ فتلك حركة سياسية فى شعب يخوض غمار الحرب إلى حقه الذى اغتصبه الأجانب من أعدائه ، وهذه حركة اجتماعية كانت أول أمرها سلمية فى شعب يستخلص حقه من ساداته وكبرائه ؛ وذلك رجل يشهر السيف ويصل إلى غرضه بالحديد والدم ، وهذا رجل لا يعرف إلا القلم ولا يرى سوى المنبر طريقاً إلى غرضه !

( البقية فى العدد القادم ) الخفيف

تلخيص كتاب :

# الحاكمون بأمرهم

## LES DICTATEURS

تأليف جاك بانفيل

بمناسبة وفاته فى ١٠ فبراير سنة ١٩٣٦

للأستاذ عبد الحليم الجندى المحامى

تتمة

---

طاف بنا بانفيل فى النصف الأول من كتابه بطغاة التا[ريخ] ليقدم إلينا طغاة العصر الحاضر ؛ فنحن الآن فى روسيا القيص[رية] حيث الشعب يجزى قياصرته الارهاق الفظيع بالارهاب الأ[فظع] وإن تعجب فاعجب لهذا القدر الساخر الذى جعل من أ[حد] القياصر حبًّا للشعب أكبر صرعى الارهاب وهو القي[صر] « نقولا الثانى » (١) . . نشطت الشرطة فى أعقاب ذلك المص[رع] ولكن نشاطها كان متجها نحو (الانفار) لا نحو القادة ، فنجا طغيانها دعاة جهنميو « كفالديمير أوليانوف » أولئك الذين ج[علوا] شعارهم « كل شيء ، أو لا شيء »

نفى الفتى — بل الأستاذ — فالدمير سنتين فى سيبريا ، [وفى] سنة ١٨٩٦ ألف جمعية الكفاح ، وفى سنة ١٩٠٣ افتتح م[ؤتمر] بروكسل للعمال ، وعقب ذلك أنشأ فى لندرا حزب العمال الرو[سى] الديمقراطى

وفى سنة ١٩٠٥ اندلع لهيب الحرب بين اليابان وروس[يا] فكانت فرصة نادرة ، فمشى إلى قصر الشتاء مائتا ألف من ال[عمال] يحدوهم قسيس ليقدموا إلى سدة القصر ملتمسات متواضع[ة] فقابلتهم المدفعية بالنار على عتباته ، وكان أركان الامبراطو[رية] الأربعة كانت فى الانتظار ، إذ شجرت القلاقل فى كل ناحية وذ[هب] الغراندوق سرج ، وساد الاضراب فى أرمينيا وبولنيا وسيستبو[ل] وعبر الدعبر — لينين — الحدود لختبئ فى موسكو ، وإذ[ا]

---

(١) راجع مذكرات بالبولوج سفير فرنسا السابق فهى من أر[وع] ما كتب عن هذا القيصر العظيم وعن مصرعه

يش الثورة الذى قاوم الحكومة تسعة أيام ثم انهزم ، ففر لينين
وراء الحدود ليكون الحزب البلشفى فى سنة ١٩١٢ وليرقب
الفرصة المتاحة

ومضت سنوات سبع كان على لينين فى منفاه أو فى مهربه
أن يدبّر فيها للثورة تدبير الأستاذ الخبير ، فلقد كان يقول :
إن الثورة فن »

وفى سنة ١٩١٤ عندما ارتفع بخار الدماء فى سماء الدنيا
بدأت أعصاب لينين ! وأخذ يتحرك ، فأهاب بالعمال فى العالم
جمع أن يُلقوا السلاح ليتخلصوا من الطواغيت إلى الأبد ،
وليجعلوا من رأس المال أسطورة تُحكى للناس ، أزيلت من عالم
الواقع الحاضر ، وجاءت الظروف تضع الأحجار فى بنيان هذا
الطاغية — والمصادفة دائماً فى خدمة الدكتاتوريات — إذ سرت
الرعدة فى كيان الامبراطورية الذى شاخ ؛ فالحرب بدت مجزرة
فاشلة ، والفيالق أخذت تتذمر فقامت قيامة العمال فى ٨ مارس
سنة ١٩١٧ ، وفى ١٠٠ ساعة فقط هوى من العرش آخر أبناء
رومانوف

وتطلعت الثورة تريد رأس حكيم يحركها . . وتطلع لينين
إلى الألمان فنقلوه إلى روسيا فى قطار مسلح فى حاشية من ثلاثين
هداماً من زملائه ، ووصل الركب إلى روسيا ، وأخذ لينين يناضل
الحكومة المؤقتة لتكف عن مواصلة القتال فى الحرب الكبرى ،
فوجهت إليه تهمة الخيانة العظمى وأوشكت أن تظفر به ، ففر من
جديد ليعود بعد شهور ومعه « الفنان الأكبر » فنان الثورات
(تروتسكى) [1]

وضع الفنان الأكبر خطةً هى آية الفن الثورى الحديث ؛
فعمد إلى المصالح الميكانيكية ، وهى التلغراف والتلفون والبريد
والكهرباء والسكة الحديد ؛ وعهد فى الاستيلاء عليها إلى فئة قليلة
من المحاربين فى زى عمال ، وأمّر عليهم طائفةً من المهندسين المهرة ،
فلم يمض يومان حتى كانت هذه القواعد الفنية قد وصلت إلى
نتائج باهرة برغم قلة عددها ، إذ كان اتحاد الغاية مع تشعب
الأهداف الأولية سبباً فى عجز الجيش وضعف حيلة الحكومة عن
مواجهة المخربين ، وهكذا استطاع « تروتسكى » أن يعزل العاصمة
عن الامبراطورية ، ثم استطاع أن يصدر الأوامر إلى أنحاء الأرض

الثانية ؛ وبعد مناورات هندسية أخرى سار بفيلق صغير صوب
القصر وسلط عليه شواظاً من جهنم ترسله مدافع الطراد
(أوردرا) فتفتحت الأبواب للطارق الفظيع ودعا إليه « لينين » ! . .
واستسلمت روسيا إلى الشيطان ، ودان له النواب فى مجلس
« الدوما »

وابتدأ لينين يحكم باسم الحق والعمال ، ففرغ من الألمان بالمعاهدة ،
وتفرغ إلى روسيا بالحديد والنار ليفرض عليها أفظع طغيان يرتعد
من هوله التاريخ ، ويتضاءل أمامه « نيرون » وألف نيرون !
ثم عجزت نظمه جميعاً وقامت جورجيا تطلب استقلالها
فسار إليها « تروتسكى » فى جحفل أغبر ليمسح حركتها من
الوجود ؛ وبدا لعين الطاغية الأعظم فشل مشاريعه فأخذ يقول :
« لقد هدمنا أكثر مما نستطيع بناءه » وأخيراً أصابه الشلل
وشب إلى جانبيه طاغية جديد هو ستالين

ومات لينين وخلفه ستالين ، فاستهل حكمه البلشفى أبرع
استهلال ، إذ طوح بتروتسكى إلى أقصى الأرض لينُبذ من دولة
إلى دولة كأنه الطاعون ؛ وليكتب فى الصحف كل يوم ليعيش . .
« وهكذا — مثل ساتيرن — تأكل الثورات بنيها » واخترع
ستالين نظام السنين الخمس ، وطنطنت له الاذاعات والاعلانات
فى مشارق الأرض ومغاربها ، ثم خفت الصوت وسكنت العاصفة
لما مُنى به المشروع من إخفاق

أما الشعب فما يزال جائعاً كما كان قبل الثورة ؛ وأما الأمية
فمازال — على الرغم من الاحصاءات الرسمية — متفشية ؛ وأما الانتاج
والرغبة فيه ، وأما الرواج والحضارة ، وأما الشعراء المتفلون
والكتاب ، فكل أولئك ومعهم خمسة ملايين من الناس نفُوا
من روسيا فى الجزر الروسية أو فى سائر أرجاء الكوكب المعمور
ولا بد أن يرتفع هذا الكابوس عن روسيا إذا مات طاغيتها
الجاثم على صدرها فهو نظام لم يبدأ من الشعب ولن ينتهى اليه

* * *

بعد ذلك يبهرك « بانفيل » بوثبة بديعة من وثبات السحر
البلاغى تخايلك طلاوتها لأنها تنقلك كسائح فى الجنة إلى قعار
إسلامى شقيق فاذا بك أمام براعةٍ متفشيةٍ كلها إعجاب ، وإذا
بك بين يدى « أتاتورك » العظيم . .

يقدم المؤلف تركيا الجديدة بكلمة لأحد مندوبيها فى مؤتمر

(١) راجع فى وصف ذلك چان چا كوبى

لوزان موجهة إلى أعضاء المؤتمر: «لماذا تريدون معاملتنا كالمتوحشين؟ إننا جميعاً في هـذا الوفد نحمل شهادة الدكتوراه في الحقوق من جامعة باريس!» وأنت تكاد تلمس من العبارة أية جماعة تأخذ بيد مصطفى كمال وتعاونه، وأية أفكار جديدة تنشرها هذه القوى الناهضة، دون قمقمة أو جلبة على طرائق موسوليني وهتلر وستالين، ففي مصطفى كمال كثير جداً من «واشنطن» وفيه أيضاً من «جنكيز خان»

ولد في سنة ١٨٨٠ وتعلم بالمدارس الحديثة وتلقى العلوم الحربية وصار «كابتن» في سنة ١٩٠٤، وفي سنة ١٩١٢ اتهم في مؤامرة على السلطان، ثم عمل في جيش القوقاز وفي الجزيرة أيام الحرب الكبرى

وعند ما هادنت تركيا الحلفاء وأراد الباب العالي أن يبيع الأتراك لانجلترا رفض كمال تسريح قواته، ووقف في وجـه الحكومة ونازل اليونان فقذف بهم وبالانجليز من ورائهم إلى أعماق البحر الأبيض المتوسط؛ ثم سحق الثورة الكردية وعقد معاهدة لوزان، وأنشأ المجلس الوطني الكبير، وألغى الخلافة، وصار الغازي رئيساً للجمهورية

ونفخ في الصور ليبعث الأتراك من جديد!

وألغى الطربوش لتُلبس القبعة؛ وطاف مصطفى كمال في البلاد يهيب بها أن تستجيب لندائه؛ ورُفع الحجاب ووضع القانون المدني، وصار الزواج مدنياً بعد أن كان دينياً، وأدخلت الحروف اللاتينية في الأبجدية التركية

وهكذا جعل الغازي من أمته التي كانت مضرب المثـل في الجمود، شعباً يستسيغ الإصلاحات الطافرة، ولو جاءته في سرعة الأفلام ...!!

وبعد أن قضى على الحاضر المضارع التفت إلى الماضي ليستخدم العلم والتاريخ في مجد أمته؛ وليس فخرها في «عثمانيتها» بل فخرها في أنها «تركية»، ولم يعدم البحاث والمنقبون عن الآثار في الأناضول معالم ومشاهد وآثاراً تثبت قدم الأتراك وآبائهم «الحيثيين»؛ ثم اتجه الرجل العظيم إلى تطهير اللغة التركية من الغريب، وعمل رجاله في ذلك أعمالا جبارة، لكأنهم يخلقون الناس معهم من تاريخ نهضتهم فحسب! فمنذ عامين فقط شيعت الجموع شاعراً قومياً، ومشى الشباب وراء جثمانه وهم لا يفهمون شعره كما كان يجب، لأن لغته أصبحت لغةً قديمة ...!! و نفدت المعاجم الجديدة أول ما عرضت في الأسواق

يُعطيك هذا العمل الأخير خير فكرة عن قوة اتجاه ا الدكتاتور نحو الإنشاء؛ حقاً إن التركي يأتي هذه الهزات التي لها كل كيانه بعلامات استفهام وعلامات تعجب، لكنها س معها يوماً على كل حال

يقولون إنه يعيش كأبطال الأساطير بين اللهو والقصف، ا بدا وجهه للناس بعد عشرين عاماً كوجه سلطان من السلا لكن الذي لا مراء فيه أنه قدم الدليل الناهض على مقدار ما الرجل القادر للشعب القادر من رغبات في الانتصار وفي ال

ثم يقول المؤلف — فهذه غايته من مؤلفه — «وإنا لا نح أن الشعب الفرنسي يُسيغ هذه الطرائق، فالثورة الكبرى نف لم تستطع أن تقسره على أن يقبـل حتى الأسماء الجديدة لش السنة! مع ما في هذه الأسماء من الملاءمة والاتساق!!»

* * *

والآن إلى قيصر!

لا قيصر الكرنفال، ولكن عبقرية أمةٍ زاخرة بالكفا حافلةٍ بالمواهب ما أسرعها في الاستجابة إلى حاجات ال وضرورات السياسة تستعرض الماضي من مفاخرها لترفع القوى منها عمد المستقبل المجيد

وليفهم القارئ الفاشستية يجب أن يرتد ببصره سنة ١٩١٥ عند ما ساقت إيطاليا جيوشها إلى الساحة إثر بين المحايدين من أتباع «جيوليتي» والمتدخلين من أشـ «دانونزيو»، فلما انعقد لواء الظفر للحلفاء حسب الساسة رجال المدرسة القديمة أن الأمور ستجري رتيبة، وستعود سير الأولى دون أن يحسبوا للتيارات الجديدة حسابا

نشأ موسوليني لأبٍ يطرق الحديد، علمه شديد القوى؛ صار معلماً، ولكن ثوريا، فطردته ثوريته من وظيفته وهاجر سويسرا فلم تطب لها ضيافته، ثم عاد إلى إيطاليا ليؤدي الخد العسكرية، ثم ارتد يضرب في الآفاق من جديد ليتلمذ على «سم باتـتي» في النمسا، وهنالك عثر على الكنز المفقود؛ فلقد «باتـتي» فيلسوفا وداعيـةً وطنيا من أكبر الغلاة حتى ام ذهن تلميذه بجمهرة من أفكاره الوطنية امتزجت باشـتراكـ

بيرته رجلاً من طراز خاص . ولما ولاه أستاذه تحرير جريدة « بوبولو » لم يكن يكتب ، ولكنه كان يحارب ، ولم تكن جمله عبارات وإنما كلمات من لحم ودم ؛ لذلك ألزمه البوليس بترك البلد فتركها إلى سويسرا لينشئ الجمعيات ويدبر ثورة للعمال الطليان

وفي سنة ١٩١٤ حسب الفرصة أتيحت له عندما قتل ثلاثة من العمال ، وانتشر الاضراب وأعقبته القلاقل ، ولكن الفشل كان من نصيبه ، حتى إذا أعلنت الحرب الكبرى وانقسم الرأي أمام جرد موسوليني قلمه ليحارب ، ودخلت إيطاليا الحرب . وفي ٢٢ مايو سنة ١٩١٥ يوم تجر يد الحملة عبر موسوليني عن رسالته في كلمة بليغة قال : « . . لقد تحملنا من الخسائر ما تحملنا في السنوات الفارطة . وها قد دنت ساعة الخلاص : فلنفتتح إيطاليا لنفسها عهداً جديداً في العالم ، ولننل قسطها من السيادة في الأرض »

واشترك موسوليني في الحرب ورجع بأربع وعشرين رصاصة في جسده ؛ وفي سنة ١٩١٧ ألقى الطليان سلاحهم وعادت الجيوش مهزومة ساخطة ، وضربت الأزمة الاقتصادية بجرانها على كل الطبقات ، ولاحت في الأفق معالم الشيوعية الحمراء ، وشرعت موسكو تبث رسلها وأموالها إلى إيطاليا ، وابتدأت القلاقل والمجازر في كل المدن الايطالية على مسمع من الحكومة

ولما وجد موسوليني أن رجال الحكومة خروا صما وعميانا أمام هذا الطوفان ، هب ليلقاه بجسمه وبصحيفته ، وبحزب جديد ؛ فلم تمض شهور ستة حتى كان له من الأتباع خمسة وعشرون ألفا

وفي ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ أعلن الشيوعيون الاضراب العام وفرض القوم سلطانهم في كل مكان بمذابح مروعة ، يقشعر من هولها الانسان ، والحكومة لا تتحرك ، وكأن الأقاليم لا تسمع روما صرخاتها الموجعة ! ثم أخذ العمال المهندسين رهائن في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٢٠ ، واحتلوا المعامل ، وأطلقوا الرصاص على الجيش ونهبوا مخازن السلاح ... وهوت العملة ، ولم يبق للنقد سعر ، وتساءل الناس : « إلى أي طريق نحن مسوقون ؟ »

كل ذلك والحكومة كأنها ليست في روما ولا في أي مكان . فعندئذ نظم موسوليني رجاله ليحاربوا الثوار حرب عصابات حيثما ثقفوهم ، فأعادوا الأمن ، وطمأنوا الناس ، وخفق باسمهم كل فؤاد مروع ؛ وأخذ ينضوي تحت لوائه الأب الملوع ، والأم الثكال . وفي سنة ١٩٢١ دخل الانتخابات وخرج منها ظافراً بخمسة وثلاثين نائباً ، كان يتزعمهم في البرلمان كأمهر ما يتزعم السياسي المتبد ؛ ثم عقد مع الاشتراكيين (هدنة !) ليدبر لهم مقتلاً ... وفي أكتوبر عقد المؤتمر الفاشستي من ٢٣٠٠ شعبة تمثل ٣١٠ آلاف ، وتلا الرجل برنامجه : « السلام في الداخل والقوة في الخارج » فصفقت له الأمة بمجموعها

وفي سنة ١٩٢٢ كانت الحكومة تتساقط كقصور الورق ، وعجز الملك عن تأليف وزارات استقرار ، وكان الرعب الشيوعي يتفاقم ، فلم يتردد الفاشزم عن احتلال مدائن بأسرها لتطهيرها من الطاعون الأحمر ؛ وأعلن الشيوعيون الاضراب ؛ وأعلن موسوليني تجنيد رجاله ليعملوا بدلاً من المضربين ، وأنظر الحكومة ثمانية أيام لتقضي على البغي الشيوعي ، وإلا فهو حال محلها ؛ وختم نداءه بصيحة داوية : « يا رجال الفاشست ... إن إيطاليا لنا »

وفي ثمانية أيام عاد دولاب الأعمال إلى الانتظام ، فكتب موسوليني الى رئيس الحكومة يقول : « إن الأمة تعبت من هؤلاء الحكام الذين يترددون بين الدناءة والاهمال » فأجابه بدعوته إلى الاضطلاع معه بأعباء الحكم ، فرفض إلا أن يعطى هو الوزارات الهامة ؛ وختم رفضه قائلاً : « إن لديه من القوة ما يكفي لينال دست الأحكام » وأعلن الزحف على روما ... وزحف الفتيان على روما فعلاً ؛ وطلب الوزير من الملك أن يعلن حالة الحصار ، فرفض جلالته ، لأنه كان يعلم ما هي الفاشزم ، ولأنه عهد بالوزارة في الغد إلى موسوليني

كان بعد ذلك ما كان مما يعلمه الكافة من بعث إيطاليا كرة أخرى لتضارع أكبر دولات التاريخ . وبعد ثلاثة عشر عاما من جهود فوق جهود البشر في كل مرافق الدولة ، غدت إيطاليا أمة تعرف الدنيا كلها مقدارها

ويختم المؤلف بتحية الدكتاتور البارع داعياً له الله أن يقيه رد الفعل الذي يصيب الكثيرين من رجال الثورات . ثم يقول ناصحاً أمته على عادته في ختام حديث كل جبار — « فليحذر المقلدون من الفرنسيين ، ولا يحسبوا أن هذه الأساليب مأمونة عواقبها في فرنسا ؛ والانتاج الطائفي الذي يقوم عليه نظام

موسوليني لا يمكن أن يطبقه فرنسي واحد ؛ وقبل أن ننسخ صورة طبق الأصل يجب أن نفهم ماذا ننسخ »

* * *

وهذه شبه جزيرة الأندلس : نشأت فيها دكتاتورية مخفقة على يد برعو ديريفرا في أسبانيا ، لأنها لم تخلق غذاء للرأي العام ، ولأن رجلها لم تكن له فكرة محدودة يتبعها ، كما نشأت فيها دكتاتورية من أبدع الدكتاتوريات في البرتغال على يد الأستاذ سالازار . . . ترك الأستاذ سالازار كرسيه في الجامعة بعد أن هتف به الرأي العام لانقاذ الجمهورية إثر رفض شروط القرض التي شرطتها عليها عصبة الأمم ، فوضع الأستاذ شروطه قال : « ... وليمنحني الشعب ثقة ليس لها حدود ، وله ألا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولكن عليه الطاعة عند ما آمر . . . »

وهنا يُعنى المؤلف باظهار مدى تأثير ثقافة المؤلفين الفرنسيين في الساحة المعاصرين ، فينوه بآثار صديقه ( شارل موراس ) الذي اتهم بتدبير الاعتداء على « ليون بلوم » في جنازة المؤلف ! ! ثم يشرح المؤلف طريقة سالازار وهي : الدولة أولاً والدعقراطية ثانيا ، ويختتم كلامه بقوله : « يقولون عن جمهوريتنا إنها جمهورية الأساتذة ... والحق إن البرتغال هي بلا مراء جمهورية الأساتيذ » فان نظام سالازار مازال يؤتي ثمراته البديعة منذ عشر سنوات

* * *

وهذا آخر رجال الحكم المطلق « أدولف هتلر » يتصدى له المؤلف في ريبة الخصم ، ولكن في نزاهة الباحث ! فهو خطيب خارق للمادة ، وداعية في الهواء الطلق ، نشأ بناء ، ثم حارب في الحرب الكبرى ، ولما حاول الانقلاب مع لودندورف سجن شهوراً كتب فيها كتابه « كفاحي » فغدا الكتاب انجيلا للألمان ، ولو أنه كأثر من آثار الفكر لا يساوي حبة من خردلة ، ففيه كلام فارغ عن اليهودية والآرية ، وفيه كلام عن استرداد النمسا ـ من النمسا ! والألزاس واللورين من الخصم الخالد . . . فرنسا ، والتيرول من إيطاليا ؛ وفيه كلام عن الحركة الاشتراكية

وفي سنة ٩٣٢ كانت هذه الأمة التي تخلبها التشكيلات العسكرية قد انخرطت أغلبيتها في سلك « فرق الهجوم » و « أصحاب القمص السمراء » فكان هتلر يسيطر على مصائر ألمانيا ، وفي ٣٠ يناير سنة ٩٣٣ دعاه هندنبورج للوزارة فلبث قليل ليعمد إلى « شلايشر وزوجته » فيقتلهما ، وليطهر الحز من « روهم » على طريقة « الجانجستر » في شيكاغو ! وأ هتلر وجيبلز يغنيان الأناشيد للشعب الألماني . وكلما خطب صدحت الموسيقى فانتشى الشعب من الموسيقى ومن الأغاني وسار وراء فرسانه

وبدأت محاولة التعقيم ، وحرب الكنيسة ، وتشر اليهود في ألوان قاتمة من التعذيب ، وبدأت وسائل الجهاد الدا والنشاط القومي توجهها كفايات ممتازة ... أما عن الخط الاجتماعية فان الشك يساور الأنفس ، فهناك ملايين من العاط محشودة في « معسكرات العمل » لن تُوجّه في الغد إلا إ الميدان . . . !

أما هتلر فما زال في طريقه
فلتصح فرنسا

* * *

وبعد « فالدكتاتورية نظام ككل النظم » ولقد تكون شر شرعة شرعت للناس ، إذا دعت اليها ظروف الساعة ؛ وقد لاتكو إذا لم تدع اليها الظروف ... وإذا كانت العمليات الجراحي بغيضة إلى نفوسنا ، فلنعمل على ألاّ تكون فينا جراح ، لأن لن نستطيع عند وجودها أن نتفادى مشرط الجراح

ولا بد مما ليس منه بد

عبد الحليم الجندي



# الحياة الأدبية فى بغداد

بقلم عبد الوهاب الأمين

ر :

ذكرنى مقال الأستاذ « على الطنطاوى » عن الحياة الأدبية ، دمشق بحياتنا الأدبية فى بغداد ، وحبب لى العزم على دخول ضمار ، وأغرانى بالبحث عن التراث الأدبى الذى خلفته عصور ذهب وعصور الزوان لعاصمة الرشيد !

وليس جديداً عندى مثل هذا البحث فقد كنت أردده فى رص عديدة سابقة ، ولكن صدى هذه البحوث لم يكن يبلغ لآذان ؛ أما الآن فقد رغبت أن يكون ذلك فى « الرسالة » لقراء ، وهى المجلة المقروءة فى كل قطر عربى ، رغبة منى فى إطلاع إخواننا فى بقية الأقطار على أن سوء الحال لا يمكن أن يبلغ بالأدب ما بلغه فى بغداد !

## بل عشر سنوات

لو أتيح للقارئ الكريم أن يتصفح الصحف والمجلات قبل عشر سنين لما فاته أن يلحظ فيها طيف اليقظة الأدبية وهى فى مهدها ، ولرأى من كثرة ما ينشر فى الصحف حينذاك من الشعر على الأخص ، ومن بقية الفنون الأدبية ، وإن كانت بصورة بدائية ، روحاً أدبياً يبشر بمستقبل لا بأس به ، ولكان فى وسعه أن يتجوز فى تسمية تلك الحركة نهضة أدبية قد يأتى عليها زمن تصل فيه إلى النضوج فتؤتى أكلها أدباً جديداً وأدباء مبدعين !

غير أن حقيقة الواقع ليست كذلك ! فها نحن أولاء الآن قد خسرنا حتى تلك الحركة البدائية البسيطة ؛ وقد ماتت كل المحاولات التى كان القصد منها بعث الروح فى الأدب العراقى فى كل مناسبة عرض لها بعض الذين خيل إليهم أن فى العراق تربة صالحة لمثل تلك المحاولات

وقد اشترك كاتب هذه السطور وساهم فى إنشاء بعض الصحف الأدبية فكانت تنتقض الواحدة منها تلو الأخرى ، فلما يئس وانزوى وترك العمل أخذ بعضهم يلومه ، وزاد اللوم فى بعض الأحيان حتى بلغ التعنيف ! كأن من واجب الأديب أن يستقل بالتضحية وحده ، فإن أحجم أو قصر أو تردد فقد أجرم !

وقد كان سبب ذلك الجمود والموت الأدبى فى جميع الحالات واحداً لم يتغير ولم يتأثر بتطورات الزمن . فكأن هذا النبات لم يخرج من هذه الأرض ، وكأن فى طبيعة كليهما ما ينفره من الآخر

فما هى علة هذه الرجعية ؟

## جناية السياسة والصحافة على الأدب

لست أقصد بالسياسة العمل السياسى ، فإن ذلك خارج عن بحثى كما أنه خارج عن صلاحيتى ! وإنما أقصد أولئك الأشخاص الذين بدأوا حياتهم أدباء ثم انقلبوا سياسيين ، ومقدار ما فى هذا العمل من الجناية على الأدب ! وبعبارة أدل : أولئك الأشخاص ذوى الأطماع السياسية الذين لم تمكنهم شخصياتهم من الخوض فى غمار السياسة رأساً ، فقدموا لأطماعهم بالاشتغال فى الأدب واضعين تلك الغاية نصب أعينهم ، فلما ظهرت أسماؤهم على الأفواه تركو الأدب وانصرفوا إلى السياسة !

هؤلاء أساؤا إلى الأدب أولاً وإلى السياسة ثانياً ... أساؤا إلى الأدب لأنهم لم يخصوه بنشاطهم ورغبتهم وإنما جعلوه مطية لأطماعهم ، وأساءوا إلى السياسة لأنهم جعلوا فيها هذه السابقة

ومن هنا يتبين السبب فى تلك النهضة التى حسبناها « أصلية » (Original) وما كانت فى الحقيقة إلا وسيلة بعض المرتزقين من حملة القلم ؛ ولو رجعنا إلى الأسماء التى كانت تذيل بها قصائد الصحف والمجلات قبل عشر سنين ، ومقالات ذلك العهد ومحاضراته ، لوجدناها من أضخم الأسماء وأعلامها فى عالم الوظيفة والسياسة الآن

وقد جرى ذلك على الصحف اليومية ، فإن كل صحيفة صدرت فى العراق كانت فى مبدأ أمرها خالصة لوجه الأدب أو تخصه بأكبر عناية ، فأصبحت كل الصحف تقريباً لا تنشر القطعة

الأدبية أو القطعة الشعرية إلا فى الأسبوع أو الأسبوعين مرة ! وقد كانت جريدة « البلاد » — وهى كبرى جرائد العاصمة — فى أول مبدئها تخص « الأدب » بثلث صفحاتها يومياً ، وكانت تستكتب الأدباء والشعراء وتنشر لهم وتدعو لأدبهم ، وكانت وقتذاك تصدر فى ست صفحات فقط ، والآن بعد أن زيدت صفحاتها إلى الثمانى فقد تركت الأدب مرة واحدة ، ولم تعد تنشر شيئاً منه إلا فى بعض المناسبات القاهرة

وكذلك قل فى الصحف الباقية اليومية منها والأسبوعية ، فانك لن تجد فيها إلا ما هو أقرب إلى الأدب السياسى فى بعض الأحيان منه إلى الأدب الخالص

ومما يؤلم ويستفز النفس أن الصحف فى العراق لا تتكبد فى نشر الأدب شيئاً مادياً ، بل كل ما ينشر فيها تقريباً « أدب تبرع » وليس أدباً مأجوراً ، وهو بذلك أقوم وأفيد بطبيعة الحال من ذلك الأدب الذى تستنطقه المادة ، ولكن أصحاب الصحف « الأدباء » لا يكلفون أنفسهم عناء الاستكتاب ، بل قد وصل الأمر بهم إلى الاقتصار على الأخبار والأمور السياسية وإهمال الناحية الأدبية بالمرة !

وهذا ما يثبط عزم الأديب العراق ، ويفت فى عضده ويكسر من خياله وهمته ، فهو لا يخسر التشجيع والتعضيد فقط ، بل عليه أن يجتاز الصحافة اجتيازاً ، وفى ذلك ما فيه من المغامرة والخسران ، فان من البديهى أن مهمة الصحافة هى التمهيد للأدب والدعوة له وتقديمه ، لا الوقوف فى وجهه وتثبيط عمله بطريق غير مباشر !

## المؤلف والناشر

أكثر ما ينشر فى بغداد بل كله كتب مدرسية غير مستكملة حتى الشروط المطلوبة فى مثل هذه الكتب ، وأكثرها مترجم ومقتطع من الكتب الغربية ، وهى تبدل حسب مناهج التعليم كل سنة ، وفى بعض الأحيان فى أقل من السنة ! ولو استثنينا بضعة كراريس فى المساجلات الأدبية كالسهام المتقابلة ، وبضعة أقاصيص ابتدائية للأستاذ محمود أحمد ، كمصير الضعفاء وما اليها ، فلن تجد كتاباً أدبياً نشر فى السنين الأخيرة غير لب الألباب للسهروردى ، والجمل فى الأدب العربى لمحمد بهجة الأثرى وتاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوى !

هذا كل ما هنالك !

وفى هذا كل معانى الفقر ! وإنه ليجرح عزة هذه الأمة وكرامتها أن تفقر هذا الافتقار من الأدب الذى هو قوام الحياة وإنه لأقطع دليل على أن هذه الخلائق لم تستوف ضرورات الحياة ولم تصل بعد إلى إدراك معانيها وتشوفها ، وأنهم — بأدبهم — يعيشون كَلاًّ على غيرهم !

فليس هناك إذن لا « مؤلف » ولا « ناشر » ، وإن وجد أحدهما فليس بينه وبين الثانى تفاهم ، وإن وجد كلاهما فانما يكونان وقتئذ أقرب الى المرابين منهما الى المشتغلين بالمعنويات والخدمة العامة

والمطبعة العراقية فقيرة الى حد مزر ، فهى لا تزال على نمط المطابع قبل عشرين سنة ؛ وهناك جريدة يومية كانت تطبع بمطبعة تدار باليد الى زمن قريب ؛ وليس هناك من نوع اللينوتايب غير واحدة فى مطبعة الحكومة ! وبالطبع ليس هناك « روتغراف » أو شبهه ! ومن هنا نعرف سبب اقبال القارىء العراق على الجرائد المصرية المصورة ، إذ ليس فى العراق جريدة أو مجلة مصورة !

## القارىء

يتذمر أصحاب الصحف من مشكلة « القراءة » وهى أن باعة الصحف يتفقون وبعض القراء على السماح لهم بتصفح جميع الصحف اليومية لقاء أجر زهيد يستعيضون به عن شرائها وأن الصحفيين بهذا « الداء » كما يسمونه يلقون أشد العنت والارهاق والعسر فى تحسين صحافتهم ! ولا أكذب القارىء أنى شهدت مرات عديدة قسما من المشتغلين بالصحافة اليومية يتبعون هذه الطريقة سراً وجهراً ، وذلك لأنهم يجدون من الصعب منح الصحيفة العراقية ثمنها لأنها فى الحقيقة لا تساويه وهذا إقرار مزر لا يجد الانسان معه إلا الوقوف مكتوف اليد

وليس من الحق لوم القارئ المراق وحده ، فان هـذا الشخص الذى لا يسخو على صحيفته بثمنها يبذر فى شراء الصحف المصرية اليومية منها والأسبوعية والشهرية تبذيراً ، فهو يشترى الصحيفة المصرية اليومية بضعف ثمن الصحيفة العراقية ! ولا يبخل على المجلة المصرية بثمن عددها الذى قد يبلغ فى بعض الأحيان ثمن اشتراك نصف سنة فى مجلة عراقية !

فالجلى من هذا أن القارىء العراقى لا يضمر العداء لصحيفته ، وأن الأديب العراقى لا يحجم عن تغذيتها ، بل السبب فى كل ذلك هو شيء من سوء التفاهم القائم على اهمال مصلحتيهما . فالصحفى يريد التشجيع بدون مقابل ، والقارىء يريد التحسين بدون مقابل ، وكلاهما لا يحرك ساكناً فى دفع هذا « المقابل »

**خلاصة**

إذن فالأدب على أسوأ أحواله فى بلاد الرافدين ؟ وبغداد التى كانت فى وقت مضى منبع الحكمة والأدب والشعر تنتظر بريد الأسبوع لتتلقف الصحف المصرية تلقفاً ، وتغذى حاجتها من الأدب المصرى ، حتى لقد يعلم القارىء العراقى عن أحوال مصر الداخلية والخارجية ومن شخصياتها الكبيرة ما لا يعلمه عن أمور العراق الداخلية وما يتصل بمعاشه وحياته ! وحتى بلغ الأمر بنا أن تعودنا الاطلاع على ما يخص العراق من مصادر خارجية ، كأن ليس فى البلد صحافة وصحفيون ، وكأنه لا يعيش لأهله ، ولا يعيش أهله له !

فان كان الأستاذ « على الطنطاوى » قد همه ألا تكون فى « دمشق » حياة أدبية ، فلست أجدنى إلا مضطراً إلى زيادة همه ! فاننا فى بغداد ننظر إلى دمشق بعين التطلع ، وننتظر أن يصلنا منها ما يروى أرواحنا المعطشى إلى الأدب ! وإن كان حضرته ينعى عليها هذا الخلو والاقفار ، فماذا سيقول عن عاصمة الرشيد ؟

لو كان الوقت والمجال يسمحان بالتبسط فى شرح بعض الأمور التى تتعلق بالحياة الأدبية فى بغداد ، كما نسمى هذا الموت تجوزاً بالحياة ، لأطلعت القارىء على أحوال منه قد لا تسره ، ولكنى لا أكون بذلك إلا كالكاشف عن جيفة ! فشكراً لضيق الوقت والمجال على حسن صنيعهما !

(بغداد) عبد الوهاب الأمين

# الرسالات

## للسيدة وداد سكاكيني

---

أتى على الانسان حين من الدهر كانت تعبث به الأحداث ، وتدور عليه الأفلاك ، وهو فى شرق الأرض تسوده الفوضى والجهالة ، ويقوده الظلم والطمع ؛ فكان كل امرىء ينتبذ مكاناً يحميه ويركن إليه هرباً من بطش فرعون وطغيانه الجارف

فى ذلك العهد المظلم كانت امرأة مسلوبة الأمان ، مشبوبة الفؤاد ، تسير إلى جانب نهر زاخر ، حاملة وليدها ، حائرة فى خطواتها ، فأوحىَ إليها أن تلقيه فى اليم ، وهى معلوية الحنايا على أمل باهر ووعد أكيد . . . ثم يأتى عهد يكون فيه موسى كليم الله ورسوله

حمل هذا النبى رسالة ربه إلى بنى إسرائيل ، فانجلت غواشى الذلة عن عيونهم الدامعة ، وتجلت لهم الحقيقة البارعة ؛ لقد أنقذهم من جور الفراعنة ، وأهدى إليهم الأمن والحرية ؛ فتمت كلمة الله فى أول دين هبط على الطور

ثم غبرت عصور وتعاقبت أحقاب ، فاذا الرومان يعيثون فى الأرض فساداً ، ويملأونها حرباً واعتسافاً ، وإذا كل قيصر جبار يستعبد الأمصار ويخرب الديار ، فكانت الأفواه شاكية ، والعيون باكية ، تستغيث وتستجير ، والأسماع المرهفة لا تبدى ولا تعيد ، فأشفق الله على خلقه الضارعين وهو أرحم الراحمين ؛ لقد أرسل إليهم عيسى بن مريم كلمته الخارقة ، وأيده بروح القدس ، فأقبل عليهم بدين الرحمة والمحبة والوئام ، وخلص القوم من مظلمة الرومان ومرارة الحرمان

وليث العرب فى جاهلية جهلاء ، ووثنية نكراء ، وبؤس ملحف ، وعيش مرهق ، وقد كان قيصر الطاغى على عاتق من شبه جزيرتهم ، وكسرى الباغى على عاتق آخر ، وهم يصلون فى أرضهم الجدباء نار الصحراء وشح الماء ، فكان من رحمة الله أن بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ؛ لقد طلع عليهم محمد بن عبد الله بهدى كبير وخير كثير ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ، ودانت له البداوة الأبية الشتيتة مجتمعة تحت راية القرآن ، حتى بعثت من بطاحها القفراء ورمالها الرمضاء ، إلى مدن العالم ورحاب الدنيا حضارة وحرية وعلماً ، فتهدم مجد فارس ، وتحطم عز

الرومان ، وأتم الله نعمته على العرب بدينه الحنيف ، وإذا بفجر الاسلام الساطع يكشف الآفاق ، ويشرق على الانسان بنور الاخاء والحرية والمساواة ، فكان سباق الأمم الحديثة التي تزعم أنها تسير على هدى ، وتدعى الحفاظ على الحق والسلام

ثم عبر بنو الانسان خضم الزمن حتى يصلوا إلى شواطيء العصور الحديثة ؛ فاذا انتهت رسالات الدين التي نزلت على الشرق ، بدأت في الغرب رسالات الدنيا ، وبينا الناس (بأوربة) في ذهول وخمول ، تنقض ظهورهم المظالم ، وتكوى جلودهم المغارم ، وبعضهم يرسف في الاصفاد بالسجون ، كان جان جاك روسو ومنتسكيو وفولتير ينشرون الكتب ليبصروا الشعب باستبداد الملوك ، واستعباد الأمراء ، وإذا هم ثلاثة رسل للثورة الفرنسية ، وإذا مداد دُوِيّهم ، وصرير أقلامهم ، ينقلبان بعد قليل إلى دوى مدافع وسيول دماء ؛ ثم تسكن الفتنة ، وقد أعلنت حقوق الانسان

وتنفتح الأعين في أرجاء الأرض على ضوء الحرية ، فتقوم رسلها في كل أمة ، وتسرى عدوى المساواة إلى كل ملة ، ثم يجر ذلك إلى مغانم شتى ، ومطامع قصوى ؛ وبعد أن تصرم قرن والناس في بحران سيادة ملتوية ، احتدمت الحرب الكبرى ، فهزت العالم هزاً عنيفاً . فلما وضعت الحرب أوزارها قام الناس من وقعها الأليم كأنهم ينسلون من القبور

وتقوى في الناس عقيدة الرسالة ويسمونها زعامة ، فينهض في الهند غاندى بجسم ضئيل وروح جبار ، فيهز سيدة البحار ، ويظهر في الترك مصطفى كمال فيخلقهم خلقاً جديداً ، ويطلع في الألمان هتلر فيعيدهم سيرتهم الأولى ، وتضيق ايطاليا بموسولينى فيغزو الحبشة بناشئة الطليان

أما في الشرق ، فيمين الله الشرق ! لقد حمل الرسالة فيه عصر سعد زغلول ، فبعث المروءة من مرقدها ، وأيدها بروح منه ، ونادى في الشرق أن حطموا الأغلال فتنالوا الاستقلال

المصلحون في الدنيا كثير ، وهم رسل لأقوامهم ، وإذا رجعنا إلى التاريخ قرأنا فيه صفحات دامية عما يعانون في جهادهم لتحرير الرقاب العانية من ربقة الجهل والوهم والاستخذاء والاستبداد

وبعد فالشاعر رسول يصور بشعوره الصادق آلام أمته ، ويجلو آمالها بروح العبقرية والالهام

والأديب رسول حين يوجه الناس في آثاره إلى سبيل الخير وطلب الحق ومعرفة الجمال

والعلم رسول يثقف العقول ويهذب الأرواح ، فيبنى الأ[...] وينشيء الرجال

والعلماء المصلحون والأطباء المكتشفون ، جميعهم رس[...] الانسانية المتألمة يسدون إليها الخير والاحسان

كل أولئك رسل أبرار يخطون لأممهم المجد والخلود ، و[...] تكاد رسالاتهم تحصى ؛ فلئن جعل الله رسالات الدين خيراً وأبقى فان عنده رسالات الدنيا في درجة عليا

(دمشق) وداد سكاكينى

## مشروع علمي جليل : سلسلة المعارف العامة

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج كتب لطيفة الحجم يتناول كل كتاب منها موضوعاً خاصاً علمياً أو أدبياً ؛ وترمى بذلك إلى تكوين سلسلة تشمل جميع النظريات الحديثة في الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والتربية والطبيعة والكيمياء وغير ذلك ؛ وقد سلكت في ذلك طرقاً مختلفة ، فأحياناً تترجم كتباً أجنبية إذا رأتها صالحة كل الصلاحية ، وأحياناً تؤلف في الموضوع بما يتفق وذوق الجمهور العربي

وقد بدأت هذا الشهر في اخراج أربعة كتب :

(الأول) عرض تاريخي للفلسفة والعلم تأليف ا . وولف وترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف ، وهو كما يدل عليه اسمه نظرة عامة في تاريخ الفلسفة والعلم من بدء نشأتهما إلى الآن . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثاني) الآراء الحديثة في علم الجغرافيا تأليف ل . ددلى ستامب وتعريب الأستاذ أحمد محمد العدوى مدرس الجغرافيا بالجامعة المصرية . وثمنه ٦ قروش صاغ

(الثالث) سكان هذا الكوكب تأليف الدكتور محمد عوض أستاذ الجغرافيا في الجامعة المصرية يبحث في سكان الكرة الأرضية من بني الانسان من حيث نشأة النوع البشري وتعدد الأجناس ونمو السكان وتوزيعهم على سطح الأرض مع دراسة تفصيلية لحالة السكان ومشاكلهم في مختلف الأقطار . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

(الرابع) كتاب « البراجماتزم » أو الفلسفة الأمريكية تأليف الأستاذ يعقوب فام . وثمنه ١٢ قرشاً صاغاً

# نظرية النسبية الخصوصية

## البحث الثالث

مبادئ الميكانيكا الحديثة

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

عضو أكاديمية العلوم الروسية

— ٦ —

القيمة التفاضلية فى الهندسة الأوقليدية لخط تعينها المعادلة :

غ ب$^{٢}$ = غ ك$_{١}$ + غ ى$_{١}$ + غ ز$_{١}$   معادلة (١)

وهذه القيمة التفاضلية تتغير فى كون « الزمان — المكان »
أعنى فى عالم مينقوفسكى الى ما تعينه المعادلة :

غ ب$_{٢}$ = غ ك$_{١}$ — غ ى$_{١}$ — غ هـ$_{١}$ + هـ غ ت$_{١}$
معادلة (٢)

وهذه المعادلة تقابل كية ثابتة « ث » التى هى نتيجة لمادلة التقلص التى كشف عنها لورانتز [١]

— ٧ —

قلنا[٢] فى البحث الأول عن الزمان ونسبيته إن اينشتين غير موضوع الهندسة من الأشكال التى يرسمها انتشار النقط المادية الى الأشكال التى يخطها انتشار الأمواج النورية . وهذه الحقيقة قامت عليها هندسة مينقوفسكى معتبرة طول جسم ما ضرباً من مباحث علم الحركة

فى نظر هندسة مينقوفسكى أن المادة ليست إلا مجموعة متواليات الحوادث « Events » فى نقطة واحدة . ومجموع توالى الحوادث فى نقطة يشكل خطاً من خطوط عالم مينقوفسكى . وهذا الخط ينشأ داخل كون « الزمان — المكان » من تحرك نقطة « حادثة Event » والقانون الذى يبين طول خط يصل بين حادثتين الأولى مثل « ا » والثانية مثل « ب » تعينها المعادلة التفاضلية

$\int_{ا}^{ب}$ غ ب   معادلة ( ١ )

إذ فيها « غ ب » العنصر التفاضلى الثانى للرقم الأول : وهذه المعادلة تجرنا الى اعتبار المادة مجموعة الحادثات المنتظمة فى حركتها فى الفاصلة « غ ب »

لنتصور جزيئاً من المادة مستندا الى نظام كونى ، فهذا الجزىء المادى كل نقطة فيه تحتفظ بمكانها النسبى تجاه محورها ، ويكون انطباقها على محورها فى المكان مشفوعاً بانطباقاتها فى الزمان ، فكل نقطة فى هذا الجزىء المادى تقع فى نظام معين بالنسبة للكون المسند اليه بصورة ثابتة . وكل حركة فى هذا الجزىء تتبع نظام الكون المنسوبة اليه ، فحوادث الماضى والحاضر والمستقبل تحدث بدقة على خط النظام المسيطر الشامل للكون الذى تحدث بالنسبة اليه الحوادث . فجزىء المادة ، لما كانت الفاصلة « غ ب » تساوى المركز « م » كان :

غ ب$^{٢}$ = هـ$^{٢}$ غ ت$^{٢}$ — غ ظ$^{٢}$   « معادلة رقم (١) »

فلو أبدلنا الرمز « ت » الدال على الزمان فى المعادلة السابقة إلى « T » كان :

غ ب = هـ غ T   « معادلة رقم (٢) »

ومن هذه المعادلة نستنتج أن :

$\int_{ا}^{ب}$ غ ب = هـ $\int_{ا}^{ب}$ غ T   « معادلة رقم (٣) »

حيث أن الرمز « غ T » رمز لفاصلة الزمان الخصوصية بجزىء المادة المسند للنظام الكونى فى صورة ثابتة

وإذا حولنا المعانى الرياضية التى فى المعادلات السابقة إلى عبارات عادية أفادت مساواة خط جزىء المادة بحاصل ضرب سرعة النور فى الزمان الخاص لهذا الجزىء المادى المسند للنظام المادى ، أو بتعبير آخر أن العلاقة بين فاصلة الحوادث لعالم ما وسرعة النور توجد معنا الزمان الخاص بجزىء المادة ؛ بمعنى أن قياس الزمن فى جزىء مادى مسند إلى نظام كونى يكون بساعة أو كرونومتر مستندا إلى هذا النظام نفسه بصورة ثابتة [١]

(I) Levi Civita : Scientia « Revue Internationale ee Synthére Scientifique. in 8 o Bologne. vol. XIV. P. 215.

(١) البحث الأول « الزمان ونسبيته » وفقرة (١) من هذا البحث

(2) Edham (I. A) Mathematik und Phycik. , P. 118-120 Ehre-Ehrenfest. ( E ) . Where is Science Going ?. P. 38-,1935

— ٨ —

لندرس نقطة مادية مثل « ف » فمبدأ الاستمرار يقرر أن هذه النقطة المادية تتحرك حركة مستقيمة منتظمة إذا لم يؤثر في حركتها مؤثر . ولنفرض حادثتين : الأولى مثل « ا » والثانية مثل « ب » في خط حركة النقطة المادية « ف » ، ولنفرض أن الحادثة الأولى « ا » تسبق الحادثة الثانية « ب » ، ولما كان هنالك خطوط المجال الانتشاري بين الحادثتين فإننا نرمز لمجموعها بالرمز « غ ص » ولواحدها بالرمز « غ » . فلتعيين خط من هذه الخطوط نبدأ من عند الحادثة « ا » التي حدثت في النقطة « م » ، ولنفرض أن هذا الخط مسنود بصورة ثابتة لنظام مثل « ظ » ومتحرك بالنسبة لآخر مثل « ظ١ » ، وإذا انتهينا بالخط عند الحادثة « ب » التي حدثت في النقطة « م١ » حيث يقوم بها متحرك مثل « ف١ » يتحرك من « م١ » إلى « م »

وإذا فرض[1] أنه كان خط حركة النقطتين المتحركتين « ف » و « ف١ » منطبقين على بعضهما تمام الانطباق ، وكانت النقطة المادية المتحركة المرموزة لها بالرمز « ف » منطبقة على النقطة « م » ، والنقطة المتحركة « ف١ » منطبقة على « م١ » فخطوط الحركة بين هاتين ستكون مختلفة إذا ما تحركتا ، وحركة « ف » تكون منتظمة وسيرها مستقيما ، كما أن « ف١ » تكتسب تعجيلا خلال حركتها من « م١ » إلى « م »

فإذا فرض أن حدثت الحادثة « ا » في الآونة « ت١ » والحادثة « ب » في الآونة « ت٢ » فستكون حركة كل من النقطتين الماديتين «Matierial Points» « ف » ، « ف١ » محصورة بين الأوانين « ت١ » و « ت٢ » والنقطة المادية « ف١ » تتخذ الوضع الذي تنم عنه الرموز الرياضية

ل + غ ل ؛ ى + غ ى ؛ ز + غ ز

في الآونات « ت١ » و ت غ » و « ت » فيكون معنا المعادلة :

غ = غ ت ... ... معادلة (١)

هـذه المعادلة تعين خطوط حركة الحادثتين عند الانتقال من خط سير النقطة المادية « ف١ » إلى خط سير النقطة المادية « ف » كما وأنها تعين أصغر أقواس الخطوط التي تربط النقطة ببعض . والفاصلة « غ س٢ » تعينها المعادلة

غ س٢ = − غ ل٢ − غ ى٢ − غ ز٢ ۞٢ غ ت٢

فإذا ما حولنا الرمز « غ س » إلى الرمز « ۞ غ ت » لنا معنا المعادلة :

غ س٢ = ۞٢ غ ت٢ { ١ [غ ك / غ ت]٢ + [غ ى / غ ت]٢ + [غ ن / غ ت]٢ } = ۞٢ غ T٢ ... ... معادلة (١)

فلو رمزنا بالرمز « س » إلى سرعة النقطة المادية المتحركة « ف١ » في آوان الزمان « ت » كانت المعادلة الدالة عليه :

۞٢ غ T٢ = ۞٢ غ ت٢ ( ١ − س٢ / ن٢ ) ... ... معادلة (٢)

أو أن :

١ − س٢ / ن٢ = ١ / ث٢ ... ... معادلة (٣)

فيكون معنا أن :

۞٢ غ T٢ = ن٢ غ ت٢ / ث٢ ... ... معادلة (٤)

ومن هذه المعادلة نستنتج أن

غ T = غ ت / ث ... ... معادلة (٥)

ولو حولنا[1] هـذه العبارات الرياضية إلى عبارات عادية لأفادت أن خط العالم الواقع بين الحادثتين « ا » و « ب » والمنطبقة على خط حركة النقطة المادية « ف١ » يكون زمانه بالنسبة لنظام مثل « ظ » تتحرك إزاءها حركة انتقالية مستقيمة أقل من مقدار الزمان بين الحادثتين . وكلما ازدادت سرعة النقطة المادية « ف » بالنسبة إلى النظام « ظ » أخذ الزمان في التقلص حتى يتساوى شطرا المعادلة رقم « ٥ » فيكون معنا المعادلة :

∫ (من ا إلى ب) غ T = ∫ (من ا إلى ب) غ ت / ث ... معادلة (٦)

ولو حولنا هذه المعادلة إلى كلام عادي لأفادت أن النقطة

(15) : Moore «G. E.» Principes new Mathematics., 1908 P. 138-140, Cincinati hress.

(5). (Edham. I. A.) : Die Grundlangen der Relativitaets-theorie; vol.3, P. 175—178.

ية « ق ١ » فى حركتها من « ا » إلى « ب » كلما أخذت الانحراف عن خط سير الحركة المنتظمة المستقيمة كانت عتها بالنسبة إلى « ق » أكبر . ولما كانت الفترة الواقعة بين رنتين « ت ١ » و « ت ٢ » ثابتة لا تتغير فزمان النقطة ق ١ » يتناقص بهذا المقدار ويكون الخط المنطبق على خط ر النقطة المادية المتحركة حركة مستقيمة منتظمة أطول خط ، هاتين النقطتين [1]

— ٩ —

من المعادلات التى سبق ذكرها نستنتج المبادىء الآتية :

أولاً : سرعة النور سرعة محدودة لا تتغير لا فى المكان ولا الزمان . وسرعتها مستقلة عن حركة مصدرها ، وتنتشر فى الفضاء بين الأكوان بسرعة ثابتة

ثانيا : قوانين الميكانيكا الكلاسيكية « مبادئ نيوتن » لا تسرى على حركة وسرعة النور والأمواج الكهربائية والالكترو مغناطيسية ، ولا على حركة وسرعة الحادثات التى تقرب فى سرعتها من سرعة النور ، وإنما يسرى عليها قوانين اينشتين الميكانيكية

ثالثاً : ليس للزمان حقيقة منفصلة عن المكان بل كلاهما يتحدان فى فاصلة واحدة هى الفرق بين مربع الفاصلة المكانية وحاصل ضرب سرعة النور بمربع الفاصلة الزمانية ، وهذه الفاصلة هى الفاصلة المطلقة الوحيدة فى عالم الحادثات

رابعاً : أطوال الأجسام تتبع حالات مشاهديها وتتغير تبع حركتهم وسكونهم فالأطوال نسبية للمشاهدين

خامساً : ليست المادة كما يعبر عنها العلم الطبيعى الكلاسيكى بأنها كل ما كان لها امتدادات ثلاثة فى المكان ، بل المادة مجموعة توالى الحادثات فى نقطة واحدة ، بمعنى أن العالم ليس إلا مجموعة من الحادثات ، وتوالى عدد من هذه الحادثات فى نقطة واحدة يلقى فى روعنا معنى المادة

سادساً : الزمان الخاص بحادثة ما هو مجرد العلاقة بين فاصلة الحادثة وسرعة النور

سابعاً : الخط المستقيم الواصل بين حادثتين هو أطول خط بين هاتين الحادثتين

( تم البحث الثالث ) اسماعيل أحمد أدهم

## تصحيح خطأ

جاء فى المقال السابق نشره فى العدد ١٣٨ خطآن مطبعيان نصححهما فيما يلى :

الأول وقع فى ص ٣٠١ سطر ٢٣ بالمعادلة رقم ٢

خطأ

$$\text{س}_{٢} = \frac{\text{س} + \text{س}^{١}}{١ + \frac{\text{س} + \text{س}_{١}}{\text{ح}^{٢}}}$$

صواب

$$\text{س}_{٢} = \frac{\text{س} + \text{س}_{١}}{١ + \frac{\text{س} \times \text{س}_{١}}{\text{ح}^{٢}}}$$

كما أنه فى السطر الثانى من الفقرة (٤) ص (٣٠٢) بالعمود الثانى وقع : خطأ اخاك صواب ازاك



---

(١) حسنى حامد : اينشتاين نظرية لرينك على قيمتى استانبول ١٩٢٨ صحيفة ٥٩

صالح ذكى : اينشتاين وبوانكاريه . دار الفنون ، فيزيق شعبه سى ، فيزيق رياضيات محاضره لرى ١٩٢٥

# صور الصداقة والعداوة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

وَفِيٌّ غادر سمحٌ حقود … أرى الأضداد فيك إلى لقاء
أمَدْحك لى انتقام من عدو … أساء اليك أم محض الثناء
وفاؤك كى أبادلك التحايا … أذا سبب التقرب والتنائى ؟
وكيما أصطلى وأشن حرباً … على من مدحه لك كالهجاء
أتخدعنى ولم تلحق بسنى … ولم تظفر بخُبرىَ أو بلائى
وتمذق لى إخاءك مذق حقد … على وما أصبتك بالعداء
تحاربنى وتحسب أن ستخفى … عداؤك ليس يظفر بالخفاء
كشأن نعامة للرأس تخفى … وتحسب ما لها فى الناس رائى
ولست بأول المخفين بغضاً … بما بين المحبة والإخاء
عرفت الناس قبلك يا خليلى … وذقت الغدر من حلو الوفاء
فان كان الولاء كما أراه … فويلى من وفائك والولاء
وبُعداً للمديح وإن تغالى … وسحقاً للمروءة والصفاء
سل الخلان ما فعلوا بقلبى … وهل أبقوا لشدقك من غذاء
وهل أبقوا لبطنك منه شِلْواً … مريراً لا يساغ على عداء
أعيذك أن أراك شبيه قوم … رجولة بعضهم فقد الحياء
وهم فقدوه من ذل وعار … وهم فقدوه من فقد الأباء
وكم أخفوا رخاوتهم بهُجْرٍ … كمن فقد الحياء من النساء
وهم مثل الهلوك رمت رجالاً … بما قد صح فيها من هجاء
على الأبواب واقفة تنزّى … وترمى القوم من دان ونائى
وتحسب أنها نفضت خناها … كجلد الكلب هُزّ لنفض ماء
فلا يعديك خلقهم فانى … رأيت الخُلْق يعدى كالوباء
صفحت ولو أردت بلغت ثأرى … وقد عُرِفَ اقتدارىَ فى الرماء
فان يأبوا وإن تأبى سكوتى … فما صمتى بعىٍّ الأدعياء
ولا يُغليك بين الناس خفضى … ولم تبعد بأفقك عن سمائى
لتنزلنى إلى حيث استقرت … بك الدنيا تفنن فى العداء
تخبّرنى اللحاظ بغل قوم … على ما نلت من فرص الر
وكنت أظنه حسداً لقولى … فخلت الصمت أقرب للنج
ولو سمعوا بموتى ما استراحوا … ولا يشفى حقودهمُ فنا
أرادوا لى الممات ولو دهانى … لفرط الحقد أحسد للفن
فلا يرضيهم عيشى رخياً … ولا يرضيهم منى عفا
وفى الدنيا الدنيئة هان سمحٌ … تعالى عن سلاح الأدني
إذا ما أحرجوا سمحاً كريماً … تدرّع بالقوأذع فى الر
دعونى صامتاً فالصمت أوقى … لكم إن لم تصولوا بالف
أداجى الناس ما داجوا وإنى … لأزهد فى الدّهان وفى الر
ولكن الحياة لها قضاء … فمن يأباه يزهد فى البق
وما أدرى لدُنْ ألقى عدُواً … أأبله أم تبالَهَ بالعد
أخَوّفَهُ أذاى أخو دهاء … أخَوّفَهُ ذكائىَ واعتلا
أتّقى وعده بالخير إما … تمادى من تمادى فى الجف
أسَعْىُ سعاية أم قول واش … يُحكّمُهُ المُحَكّمُ فى الخف
أرجّاهُ مُرجّى الخوف منى … ضلالاً نيل عونىَ أو ثنا
أعدوى فى التثاؤب من كسول … كعدوى فى العداوة والاخ
أرشح اللؤم فى رهط وضيع … يفيض بما يشاء من الأد
ومن عرف الأنام رأى أموراً … مُرَغْيَاةً كرغوة الكـ
أراها كلها صُوَراً تنزّى … تنزّى الآل فى الخرق الخو
سراب لست أتبعه فأخشى … هلاكاً لا ولا هو من رجا
أنا المرء الذى عرف البرايا … فلا يردى لعاد أو لشانئ
ومن خَبَرَ الأنامَ لِصُنْعِ فنٍّ … فكل الخلق من صُوَر الأدا
تراموا بالهجاء فان أصابوا … فرهطهم الملطخ بالهجا
أليس الرهط فرداً ثم فرداً … وأوصافاً لها عدوى الوبا
نعتم رهطكم لما نعتم … نفوسكم بأوضار الرما
نفوسكم معرّة كل رهط … ومدرجة الشعوب إلى الفنا
ومهزلة المكارم والمعالى … وهل لؤم يؤول إلى علا
لعلكم حسبتم كل شر … إلى عود بخير وانتحا

عبد الرحمن شكرى

لم ورموز :

# أنا قبر

بقلم السيد زكى المحاسنى

---

بيبى حبى بضيق كلاماً ليت أنى أبينهُ أنغاما
اً تفهم الجوارحُ منه ويريح العذاب والآلاما
ت أغرودة على الدهر تعلو عن سماع يغدو ذووه رغاما
ت لحن سمعتُــه فرمانى ضائع الرُّشد حائراً مستهاما
ما قدشككتُ فى صدق عينى فحسبت الذى رأيت مناما
كيف قرّت حقيقةٌ من يد الحِـ ـسّ فصارت فى مزعمى أوهاما
ا ذاك أم أعيد وجودى بعد ما كنتُ فى فنائى رماما

* * *

غلِق الكُوَةَ المنيرة واملأ نى ظلاماً حتى أصير ظلاما
بلنى أسترد صورةَ ما فا ت وعلّى أردُّها أحلاما
ا هو السبح يدّنى من أمامى واجماً وجهه يلوح كهاما
جلت منكبيه بردةُ بؤس جملتها الأسفارُ تبدو قتاما
مدّ لى كفّهُ المزيلةَ والرجـ ـفةُ فى ثغره وقال : سلاما
لم أكد أهتدى إليه فأرجـ ـتُ الحوالى إلىّ عاماً فعاما
ثم لمّا عرفتهُ غاب عنى وكفانى ولو يزورُ لماما

* * *

رُدّ ضوئى واحملْ إليهِ حياتى واسقِنى فى سُلوٍّ همى مُداما
داونى مثلما يداوَى عليل خاف أهلوه أن يموتَ سَقاما
أغدُ بى فى الرياضِ واقصص حديثاً أتخذْ منه سلوةً وجَماما
أنا أهوى الحياةَ من كلّ آتٍ وأُرجّى من البقاء دَواما
إحتفِرْ هوّةً وأنزلْ إليها ذِكرياتى وأردُم عليها رِجاما
وكأنى أمرُّ يوماً عليها فتنادى : ألا رعيت ذِماما
فأبكّى لها وأسفح دمعى فتبلُّ الدموعُ منها أواما

* * *

أنا قبرٌ وفىّ ميتٌ توارى وبكائى علىّ كان لزاما

# ليلة فى «الحمراء»

« عن شاتوبريان »

بقلم السيد ناجى الطنطاوى

---

ولى ذكريات أودعت مهد مولدى عذاب وعهد فى رباه أنيق
فهل تذكرين اليوم يا أخت مامضى
فانى إلى تلك الديار مَشُوق

---

وهل تذكرين « الكوخ » حين تضمنا
إلى صدرها الأم الحنون فنجذل
وشَعراً لها قد بيّض الشيب جُلّه نداعبه طوراً وطوراً نقبّل ؟

---

وهل تذكرين القصر والنهر دونه يبلّله والبرج فيه قديم ؟
إذا قرع الناقوس أعلن صائحاً بأن نهار الأمس عاد يقوم

---

كذا العندليب الخفُّ هل تذكرينه ؟
يلامس سطح الماء حين يطير
وللقصب الزاهى انحناء وعند ما نرى الشمس فى ماء الغدير تفور

---

فهل من معيد لى «هيلين» ودوحة بها وجُبيلاً كيف لى أن أراها ؟
تسبب لى ذكراها الوجد والجوى لأنىَ لا أهوى ربوعاً سواها

---

# فى غمرة الهوى

بقلم السيد الياس قنصل

---

لا تحزنى إن كنتِ عاشقةً ولا تستسلمى لتفجّع وبكاء
الحبّ لا يُتقى وإن حمل الردى بفوادح النكباتِ والأرزاء
هو نفحةٌ علويةٌ سحريةٌ تسبى الفؤاد بلطفِ الاستهواء
تعبر الخلىّ جناحَ وهمٍ خالدٍ يسمو به عن سائر الأحياء
لا تحزنى ، فجمالكِ الفتان قد تذويه عاديةٌ من البلواء
والحزنُ ينفث فى الحياة وكأسها ما ليس تنفثه سوى الرقطاء

( البقية فى ذيل الصفحة التالية )

وتأملي تجدي تباريح الهوى    قد ميزتكِ برقةٍ وسناء
ما كنتِ قبل اليوم إلا دمية    تحوي ضروب الحسنِ دون رواء
يأتي الربيعُ فلا ترين جماله    إلا بعطرِ زهوره الميلاء
وتدغدغ النسماتُ وجهكِ حيث لا
تلقي سوى لون بلا إغراء
وإذا تمايلت الغصونُ وصفّقت    أوراقها في الروضة الغناء
لم تدركي معنى تمايلها، ولم    تقفي على همساتها الخرساء
ما كان قلبكِ رغم كل حنوه    إلا شبيه الصخرةِ العمياء
واليوم بتِّ وقد عرفتِ لُقَى الهوى    نبتَ الخلودِ ومهبطَ الإيحاء
فاذا رنوتِ إلى السما عند المسا    ورأيت ملك الأنجم الزهراء
أدركتِ شيئاً لم يكن لك ظاهراً    وكشفتِ سرّ القبة الزرقاء
أمسيتِ أقرب للذى أمر الورى    بالحبّ، لا بالحقد والبغضاء
سرّى إذن، وليمحُ عنكِ الحزن ما    يجتاز قلبك من هوى وهناء

(عاصمة الأرجنتين)    الياس قنصل

أعلام الأندلس

# ٣ - ابن بسام صاحب الذخيرة
## والشاعر ابو مروان الطُّبْني
### للأستاذ عبد الرحمن البرقوقي

ألاَ يحسن بنا بعد أن أوردنا ترجمة ابن بسام للشاعر أبي مروان الطبني أن نردفها بترجمة الفتح بن خاقان لهذا الشاعر حتى ترى فرق ما بين الترجمتين فتتم الموازنة بذلك بين هذين الأديبين من جهة، وحتى نوفى ترجمة هذا الشاعر حقها بما في ترجمة الفتح من زيادة على مما في ترجمة ابن بسام من الجهة الأخرى.

نعم، قال الفتح في المطمح في حق الطبني: من ثنية شرف وحسب، ومن أهل حديث وأدب، امام في اللغة متقدم، فارع لرتب الشعر متسنم، له رواية بالأندلس ورحلة إلى المشرق، ثم عاد وقد توّج بالمعارف المفرق، وأقام بقرطبة عَلَماً من أعلامها، ومتسنما لترفعها وإعظامها، تؤثره الدول، وتصطفيه أملاك الأول، وما زال فيها مقيما، ولا برح عن طريق أحانيها مستق... الى أن اغتيل في إحدى الليالي بقضية يطول شرحها، فأ... مقتولا في فراشه، مذهولا كل أحد من انبساط الضرب ... على انكماشه؛ وقد أثبت من محاسنه ما يعجب السامع، وتص... اليه المسامع؛ فمن ذلك قوله:

وضاعف ما بالقلب يوم رحيلهم    على مابه منهم حنين الأ...
وأصبر عن أحباب قلب ترحلوا    ألا إن قلبي سائر غير ...

ولما رجع إلى قرطبة وجلس ليرى ما احتقبه من الملو... اجتمع اليه في المجلس خلق عظيم، فلما رأى تلك الكثرة، و... عندهم من الأثرة قال:

إني إذا حضرتني ألف محبرة    يكتبن: حدثني طوراً وأخبر...
نادت بمفخرتي الأقلام معلنة    هذي المفاخر لاقبان من ابن...

وكتب الى ذى الوزارتين أبي الوليد ابن زيدون:

أبا الوليد وما شطت بنا الدار    وقلّ منا ومنك اليوم زو...
وبيننا كل ما تدريه من ذمم    وللصبي ورق خضر وأ...
وكل عتب وإعتاب جرى فله    بدائع حلوة عندى وآ...
فاذكر أخاك بخير كلما لعبت    به الليالي فان الدهر د...

## عود الى الذخيرة

« وأما بعد » فقد آن لنا أن نعود الى القول على كتا... الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، وهو الأثر الفذ الباقي للمتر... له أبي الحسن على بن بسام؛ ولولا أن لهذا الكتاب شأناً غ... شأن سائر نظائره لما عرضنا للقول عليه والتعريف به، ... لنلقى عليه نظرة ليس منها بد؛ ولا سيما بعد أن بشرنا صديق... الأستاذ الكبير محمد كرد على بك بأن هناك لجنة من أفا... المستشرقين تألفت برياسة العلامة المستشرق الفرنسى الأس... ليفى بروفنسال لاخراج هذا الكتاب الضخم الخالد الذ... حُرِمت منه المكتبة العربية هذا الزمن الأطول...

* * *

(١) يشير الى قول الشاعر:
تلك المكارم لا قعبان في لبن    شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
والقعب قدح من خشب يروى الرجل والاثنين والثلاثة

وضع قديماً أبو عبد الله هرون بن على بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ كتاباً اسمه «البارع» في أخبار شعراء المولدين جمع فيه مائة وواحداً وستين شاعراً ، وافتتحه بذكر بشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح ، واختار فيه من شعر كل واحد عيونه ، وقال في أوله : إني لما عملت كتابي في أخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغتـه معرفتي وانتهى اليه علمي ؛ والعلماء يقولون : دل على عاقل اختياره . وقالوا : اختيار الرجل من وفور عقله . وقال بعضهم : شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من عقله ، واختياره قطعة من علمه . وطول الكلام في هذا وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن ، وأنه كان طويلاً فحذف منه أشياء واقتصر على هذا القدر . ثم جاء بعده أبو منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ ووضع كتابه «يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر» ، وجعله ذيلاً لكتاب البارع ؛ هـذا ثم جاء أبو الحسن على بن الحسن الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ؛ وألف كتاباً اسمه « دمية القصر وعُصرة أهل العصر » ، وجعله ذيلاً لكتاب يتيمة الدهر ؛ ثم جاء أبو المعالي سعد بن على الوراق الحظيري المتوفى سنة ٥٦٨ هـ وصنّف كتاباً أسماه «زينة الدهر» ، وجعله ذيلاً على دُمية القصر ؛ وأخيراً ظهر العماد الكاتب الأصبهاني المعروف بابن أخي العزيز والمتوفى سـنة ٥٩٧ هـ ، ووضع كتابه المسمى « خريدة القصر وجريدة أهل العصر » ، وجعله ذيلاً على زينة الدهر للحظيري .

هـذا في المشرق ، وأنت فانك تعلم أن الأندلسـيين كثيرا ما يحذون حذو المشارقة في سائر مناحيهم ؛ ومن ثم نحوا نحوهم في وضع هذا النوع من التواليف ، فوضع الأديب الكاتب الشاعر أبو عمر احمد بن فرج ــ وكان معاصراً للخليفة الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر ــ كتاباً اسمه « الحدائق » قدمه للخليفة المستنصر وعارض به « كتاب الزهور » لأبي محمد بن داود الأصبهاني ولم يورد فيه لغير اندلسي شيئاً ــ وسنترجم لهذا الأديب ــ ثم جاء من بعده صاحبنا أبو الحسن على بن بسام فوضع كتاب «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» وجعله ذيلا على حدائق ابن فرج . وفي عصره صنف الفتح بن خاقان كتابي القلائد والمطمح ، وجاء بعدهما الأديب أبو عمر بن الامام وذيل على الذخيرة والقلائد بكتاب اسمه سمط « الجمان وسقيط المرجان » ذكر فيه من أخل ابن بسام والفتح بتوفية حقه من الفضلاء ، واستدرك من أدركه بعصره في بقية المائة السادسة ؛ وذيل على هذا الكتاب أبو بحر صفوان بن ادريس الكاتب الأندلسي الكبير بكتاب سماه « زاد المسافر » ذكر فيه جماعة ممن أدرك المائة السابعة . وهنا نذكر أن أكثر هذه الكتب مفقود كما أن هناك تواليف كثيرة من هذا القبيل لم نسمع بها فضلا عن أنها غير موجودة . فلقد أخبرنا الامام أبو محمد بن حزم في رسالته التي يشيد فيها بفضائل الأندلس أن للشاعر الوشاح أبي بكر عبادة بن ماء السماء كتاباً في أخبار شعراء الأندلس أثنى عليـه وقال انه كتاب حسن في معناه . وحدثنا أيضاً بأغرب من هذا وهو أن من بين الكتب التي وضعت للخليفة الحكم المستنصر كتاباً في أخبار شعراء « أبيـيَرة » في نحو عشرة أجزاء . . . فتأمل . . . ومما يتصل بهذا وما هو أقعد في باب الغرابة ما حدثنا به ابن حزام أيضاً من أن هناك شاعراً أندلسياً كان في عصر جرير والفرزدق اسمه أبو الأجرب جَعْونَة بن الصِّمَّة الكلابي يقول ابن حزم في حقه : ونحن إذا ذكرنا أبا الأجرب في الشعر لم نباه به إلا جريرا والفرزدق لكونه في عصرهما ؛ ولو أنصف لاستشهد بشعره فهو جارٍ على مذهب الأوائل لا على طريقة المحدثين . وحكى ابن سعيد صاحب كتاب المغرب قال : ان عباس ابن ناصح الشاعر الأندلسي لما توجه من قرطبة إلى بغداد ولقي أبا نواس قال له أنشدني لأبي الأجرب قال : فأنشدته ، ثم قال : أنشدني لبكر الكناني ، فأنشدته ؛ فأين شـعر هذين الشاعرين الأندلسيين العظيمين ؟ إنا وا أسـفاه لم نعثر لهما على شيء قط . . . . . ثم وأين كتاب المُسهب للحجاري ، وكتاب المغرب لابن سعيد ، وكتابا المبين والمقتبس لمؤرخ الأندلس الأكبر أبي مروان حيان ابن خلف ؛ ؟ . . . وأين وأين . . . ! ؟

أين سـكانك لا أين لهم   أحجازا أوطنوها أم شآما

* * *

فاسألنها واجعل بكاك جوابا   تجد الدمع سائلا ومجيبا

عبد الرحمن البرقوقي

# القصص

مأساة من اسخيلوس

## ثأر أورست

The Choephoroe

الدرامة الثانية من (الأورستية)

للأستاذ دريني خشبه

تتمة

— ٦ —

ويسأل أورست عن هذه الرقاق من أرسلها، وعن هذه الخمر فيم يصبانها على ثرى أبيه، وقد تصرمت السنون على جدثه، فتحدثه رئيسة المنشدات عن رؤيا الملكة:

— « حلم! حلم! أيها الأمير! حلم مزعج مروع أقض مضجعها؛ وأذهلها عن نفسها! رؤيا انبجست عن ضميرها المضطرب الملوث بالآثام! »

— « رؤيا! وأي رؤيا هذه؟ »

— « حلمت واستكرشت، ثم وضعتها أفعى هائلة »

— « أهذا كل شيء؟ »

— « لقد هبت مروعة مشدوهة، وطفقت تصيح وتصخب كأنها طفلة جائعة ... »

— « الحية الرقطاء! وأي غذاء يرد شرهها! زادها الله سغباً! »

— « لقد كانت تمسك صدرها بيديها، كأنها تخمد فيه ناراً! »

— « وكيف لم ينفث السم في ثدييها ... »

— « كلا! بل لقد قطر ثدياها دماء ... لا لبناً! »

— « يالها من رؤيا ... لو تتم! ... »

ثم انطلقت تصيح في أبهاء القصر، وهب المذارى ؛ المشاعل ويغسلن ظلام الليل؛ وأمرت بهذا القربان ا فصُبّ في تلك الزّقاق، وحملناه إلى ... »

— « قبر زوجها! الغادرة الفاجرة! ليشق سمارها! الأولب! ويح لك يا أرض الآباء! رحمة لك يا قبر! يا الأولب! ياربات المقادير! أكتبي أن أكونه، أكتبي أن أ هذا الأفعوان الهائل الذي يقر فوق صدرها ... لن يردني ؛ سأغمد خنجري في الصدر الذي شبيت فوقه! سأمزق ال التي قطرت في فمي علقم الحياة!

أكتبي ياربات المقادير! لتمت موتة دامية! سأذب أنا الأفعوان لا ريب! إشهدن أيتها المذارى! عجلي ياسماو هلم بيلاديز! هلم ياصديق لنأخذ فيما قدمنا له؛ وأنت يا إل كوني رائدنا في القصر؛ تحسسي لنا أخباره، وتمعي آ فاذا أزفت الآزفة لم تفلتهم الغيلة التي دبرناها لهم، كما د لولاهم من قبل؛ ولم يفلتهم الشرك الذي نصبوه بأيديهم لهم أن يقعوا فيه . . . . . ليذوقوا وبال أمرهم مادام أن ال بالنفس! هلمي إلكترا! سأبدو أمام البوابة الكبرى صديقي بيلاديز في زي مهاجرين، وسنتحدث بلهجة أهل البرية التي نتقنها جيداً، ياللآلهة! إن أحداً من أهل ال لن يمنحنا ابتسامة، أو يتصدق علينا بنظرة!! ...

لا علينا! بيد أننا سنترصد لأيجستوس، فاذا حانت منه غفلة فسننقض عليه وننفذ خناجرنا فيه! إلكترا! أ القصر جيداً، واحذري أن تحركي لسانك بكلمة تفسد علينا شيء .... تكلمي إذا كان في الكلام خير لنا ..... وإلا فالصمت .... الصمت الذي يشبه الكبرياء يا أختاه ... و أيتها العذارى . . . هاتين موثقكن (يقسمن له أيمن ص إذن ... إلى اللقاء ... »

— ٧ —

« المنظر : أمام قصر الپلوپيديه (١) »

« يهزج المنشدات بلحن طويل حلو ، ويتغنين أشجان ...مر العتيق ، ويرددن ذكريات الماضي المظلم المضرجة بالدم ، ...لمن إلى الهول الأكبر الذي ينتظر المجرمين . . . »

« يدخل أورست ويطرق باب القصر »

— « أنتم يامن هنا ؟ ... ( ويطرق ثانيةً ) ... يا أهل هذا ...زل الرحب ... ( ويستمر في الطرق ) ... يا سادةَ هـــذه ...ار ! ... الأمير إيجستوس ! أريد الأمير إيجستوس ! ماذا ؟ ...ا من أحدٍ هنا ... في هذه الدار المضيافة ... ( يطرق بعنف )

البواب : « هيه ! من ؟ من أنت ؟ ( في غضب ) من أين ...بلت ؟ تكلم أيها الريق !

— « لقــد جئت لسادة هـــذا القصر بأخبار هامة ... ...ريبــة ... فالبدار البدار أيها البواب ! ... قل لهم إن بالباب ...رجلا من بدو البرّية يريد لقاءهم ... هيا ... و ... إسمع أيها ...لبواب ... اسمع ، أرجو أن ... لقد أوشك الليــل يرخي ...ســدوله ، ولا بد لابن السبيل من ملجأ كريم يأوي إليه ... ...فحبــذا لو لقيت أيّا من ذوي الشأن هنا — وحبــذا لو كان ...رجلاً ... إنّ لديّ أنباءً هامة ، وقد أرتبك إذا ألقيتها ...لامرأة ... أما إن كان رجلا ... فالرجل يصارح الرجل من ...دون ما حياء ... بل لا يكاد ذهنه يشرد في حضرته كما قد يشرد في حضرة امرأة ... ... »

« تدخل كليتمنسترا »

— « ماذا أيها السيد ؟ ! غريب لاجيء ! مرحبا مرحبا ... إن قصر الپلوپيديه لن يضيق بالجائع المعتر ، ولا بالطاويء الصادي ... إنزل أهلا ، وحل سهلا ... ولــكن ... ! يبدو عليك أنك رسول ولديك أنباء ! إذن ... ما وراءك ؟ هـذا إن لم تــكن رسالتك للأمير ... »

— « أنا ؟ ... أجــل ... رسول ! لقد قدمت من بلدتي دُوليس ، إلى آرجوس ، في بعض شأني ... و ... بينا أنا في بعض الطريق ، إذا رجل طوال وقور الهيئة يلقاني فجأة ويسألني إلى أين ؟ ولم أكد أجيبه أنني ميمم شطر آرجوس حتى لهث لهثة شديدة وقال : إذن لي رجيّة عندك ما أحسبك إلا مؤديها لي ... ومنّاني بالخير الكثير ، ووصل حديثه فقال : إذا كنت في آرجوس فاقصد من فورك قصر الامارة ... الپلوپيديه الشاهق ... والق ال ... ملـ ... الأ ... مير ... ونبّئه أن أورست قد قضى نحبــه ... مات ... ثم سلهم ، هل يرون أن تنقل رفاته فتقر في ثرى الوطن ... أم يؤثرون أن تظل حبيسةً في دار الغربة كما عاش صاحبها إلى آخر أنفاسه مشرّداً في أنصى الأرض ، طريدا من رحمة أبويه ... أما الرجــل فقد ذكر لي أنه ستروفيوس وأنه من فوسيز ... وقد ألح في أن أعود إليه برد على ما طلب ... و ... و ... فاتني أن أذكر أن رفات الأمير الصغير ما تزال محفوظةً في إران نحاسي ... و ... أنه يبكيها ... و ... ولــكن يا سيدتي بحق الآلهة عليك ! لقد ذكرت كل شيء ... هل أديت الرسالة الآن التي طلب مني الرجل أن تميها ؟ إذ ينبغي أن يعلم أبَـوَا الأمير قبل كل أحد »

— « ويلاه ! يا للداهية تنصب في هذا الخبر الأسود ! إيه أيتها اللعنة التي ما تفتأ ترنق على هذا القصر ! إيه يا عُقاب الردى هويت من شاهق على حَمَايـنَـا ! إيه يا سهم المنية اخترمته من بُعد ! بينا كنت أحسبه في مأمن من مزالق الحتوف ، إذا هو يموت ، ويغادرني في تعاستي وحدي ! أورست ! يا رحمتا لك يا بُنيّ ! لقد كنت أدخرك لتشفي أوجاع هذا البيت ... يا أملي الوحيد ! يا آخر رجاء لي في الحياة ! لقد جاء النعي فلا شك ! ... »

— « وا أسفاه ! كم كنت أود لو أتيت بالبشريات الغُر لأنال رفد هؤلاء السادة الأثرياء ! ولــكن ! لا عليّ ! فلقد ظل قلبي يحدثني عما في النبأ الذي حُمّلت من شر !

إ ... إ ... إنما ! ... مالي ولذلك ! أيتها الأميرة ! أمن رد على ستروفيوس .. ؟ »

— « ليطمئن قلبك على الرفد أيها الرسول ! ولا يحزنك أنك جئت إلينا بهذا النبأ ، فقد كان غــيرك يجيء به لو لم تفعل ... والآن ... هلم أيها الخادم بالضيف الــكريم إلى أفخر غرف الضيافة ، وليصحبه تابعه ، ولتكرم مثواه ، ، فما أظنهما إلا قد أضناهما السفر ، ونال منهما الطريق ... أما نحن ، فسنبلغ الملك وسنرى ماذا يكون في مسألة الرفات »

« يخرج الجميع ما عدا المنشدات »

— ٨ —

« تدخل مرضع أورست »

رئيسة الخورس : « هيا يا وصيفات القصر ! صلاةً مباركة

(١) لم يتقيد اسخيلوس بوحدة المكان في هذه المأساة ، وكان المنظر الأول أمام مقبرة أجا ممنون

للآلهة أن تحرس أورست وأن تلحظه بعين الرعاية ... وصلاة مباركة على روح الوالد القتيل ، الذي لابد هو راع ولده الذي جاء ليثأر له من الآثمين ! ... هيه ! من ؟ مرضعة أورست ؟ كيليسا ؟ ماذا جاء بك يا كيليسا ؟ ! تبكين ؟ ماذا يبكيك يا طيبة القلب ؟ ! »

— « عِمْنَ مساء يا عذارى طروادة ! لاشيء ! فقط ، ... لقد طلبتْ إليّ الملكة أن أدعوَ إليها أميرها إيجستوس ليتلاق بأذنيه أنباء النبي ! ويلاه ! ويلاه عليك يا أورست ! يا طفلى العزيز ! شجن جديد يغطش سماءك أيها القصر ! أنت يا مأوى الأشجان وكهف الأسرار ! يا بيت أتريوس كم مصيبة خبأتها لك الأقدار ؟ ! آه يا طفلى ! يا من غذوتك من ثدييّ لبن المحبة والحنان ! أنا كيليسا المفجوعة فيك ... أنا التي غذوتك ونشّأتك وسهرت عليك بأمر أبيك الملك ! أنا التي كنت أفديك بالحياة ... لقد انتزعوك منى ... ونفوك في أقصى الأرض حتى لاتروع أحلامهم وتقف في سبيل لذاتهم ! اللئام... ! أنا أذهب الآن لأدعو إيجستوس ! لأملأ سمعيه بخبر وفاتك ! يا ولدى ... ياولدى ... ! »

— « مسكينة ! ياويح لك يا كيليسا ! ولكن ! ... ، اهدئى ، فإن لنا لسؤالاً نحب أن تجيبي عنه ... ! »

— « ... ؟ ... ؟ ... »

— « وبم أمرتك الملكة ؟ هل أمرتك أن يأتى إيجستوس ومعه أحد ؟ »

— « لا أفهم ... أفصحن بحق الآلهة عليكن ! »

— « نعنى ، هل يأتى وحده ، أم يكون معه حرس ؟ »

— « لا ! بل أمرت أن تكون حوله فرقة من حملة الرماح ! »

— « صه ! ... لا . لا ... إياك يا كيليسا ! قولى له إن الملكة تريد أن تذهب إليها بمفردك ... و ... نرجوك ! ... نحن نترك البقية لحسن فهمك !...»

— « ماذا ؟ ... وهل لكن الحق فى إصدار أوامر ؟ »

— « لا ... ولكن إن كنت حقاً وفية لأورست فلا تقولى إلا ما أشرنا عليك به ! »

— « لست أفهم ! ... لقد أودى أورست وكان منتهى آمالنا ... لماذا نرجو بعد ؟ »

« وتبكى »

— « لترقأ عبرتك يا كيليسا ! وليفرخ روعك ! هونى عليك ياطيبة القلب ، فقد يكون حياً يرزق ! من يدرى ؟ ! ألق إلينا أن ... »

— « ماذا ؟ نبوءة ! نبوءة بالله عليكن ؟ ... أم سمعتن أ خاصة ؟ »

— « صه ... ! هيا هيا ... إذهبى إلى إيجستوس وليفه إلى الملكة وحده ! »

« تخرج كيليسا »

« وتصلى النشدات من أجل أورست ، ضارعات إلى الآ أن تكون معه ؛ وإلى هرمز أن يحرسه »

— ٩ —

« يدخل إيجستوس »

— « هيـه ! ... هأنذا قد أتيت ! ياله من خبر ! أ الغريبان ! ماذا ؟ أحقا مات أورست ؟ ! ما كنا نؤثر أن يموت بالجرح الذى ينغل فى أحشائك أيها القصر ؟ هاك قادحا آخر ي بكلكله عليك ! ولكن ! ... لا ... لا أصدقه ! لا أصدقه .. أنا فى شك من النبأ مريب ! المرأة ! لقد زخرفوا لها ا الأسود وقذفوا به فى روعها ! أكبر ظنى أنها إشاعة لا تلب أن تذوب ! خبرن يا وصيفات ! أحق ذاك النبأ ؟ »

— « لقد سمعنا كما سمعت ! ولكن ! ... لتدخل أنت ولتلق الطارقيْن الغريبيْن ! فقد خُيِّل إلينا أنها مجرد إشاع وقد تجلو الحقيقة حينما تواجههما »

— « ما أحسبنى أصدّقهما إلا أن يقولا رأيناه يجود بآ أنفاسه ! إن لى لعقلاً ، وإنه لا تجوز عليه الأباطيل ! »

( ويخرج )

وما تكاد النشدات يترنمن بأنشودة قصيرة يصلين فيها لزيو حتى تُسمع صرخة من الداخل :

— « آه ... آه ... ذُبحت ! لقد ذُبحت ! »

المنشدات : — « ها ! ... إشتدى أزمة ! »

— « آه ... آه ... »

— لقد نفذ السهم وقُضِىَ الأمر ! ...

« يدخل أحد الخدم »

— « ويلاه ! قتـل الأمير ! أخبروا الملكة ! ... ويلا افتحوا البوابة لأميرة القصر ! « تحاول النشدات فتح البو فلا تستطعن » أأنتن ضعيفات ! ليفتحها الرجال الأشدا الغوث الغوث ! آه ... لا غوث اليوم ، لقد انتهى كل شي

الأميرة ! أين الملكة ! أين كليتمنسترا ؟ بادرع لها حين يفجعها ! . . . »

— ١٠ —

« تدخل كليتمنسترا »

— « من ذا يصيح ويصخب هنا ؟ ماذا ؟ أنت الذى تصخب أيها الخادم ؟ »

— « أ . . . أنا . . . ؟

— « ماذا ؟ تكلم ! »

— « لقد انتفض الأموات تحت أطباق الثرى فذبحوا الأحياء ! هنا فى هذا القصر ! »

— « آه ! الخديعة ! جلوت السحر وكشفت الطلسم ! فهات لى بلطا [1] ! وليكن حديداً مشحوذا ! هلم هلم ! فوزر هذا العمل أو لى خيره ! لأصارع الأقضية ، ولا نازل مقادير هذه النوبة أيضا ! »

(ويتزاح ستر فيبدو أورست وأمامه جثة إيجستوس وإلى جانبه پيلادز)

أورست : « آه . . . ! هلاً ! هذى أنت ! لقد فرغت من إيجستوس ، وقد جاء دورك ! . . . »

« كليتمنسترا وقد هالها مقتل إيجستوس »

— « قُتِلْت ! ويلاه ! سكتت نأمتك ، وشالت نعامتك ، يا أعز الناس علىّ ! »

— « أعز الناس عليك ! ها ها ها ... إذن سترقدين إلى جانبه آخر الدهر ليتم له وفاؤك يا آثمة ! »

« ويهم أن يفتك بها فتعرف فيه ولدها »

— « أورست ! أهو أنت ؟ ولدى ! حاشاك ! إرحم هذا الصدر الذى طالما دللك ، والثدى الذى طالما أرضعك ! »

« يتنى أورست ليستشير صديقه »

— « پيلادز ! أشر علىّ يا أعز الأصدقاء ! هل تفل الرحمة من غرب هذا السيف من أجل أمى ؟ »

— إذن أين ما أوحى إليك من لدُن أپولو ؟ وأين النبوءة الصادقة وما ناشدتك السماء أن تؤديه لها ؟ روِّ سيفك غير راحم يا أورست . كن صديق السماء واغسل بغضبتك أدران الأرض ! »

— « آه ... شكراً لك يا پيلادز ! حقاً إنك المخلص الأمين ! أنا أبداً فى حاجة إلى مشورتك ! سأقتلك إذن يا أدنس الأمهات ! سأقتلك لتخرّى إلى جانب عاشقك المجرم النجس ! لقد فضلته على مليكك فى الحياة ، فقرى معه بعد الموت ! حبيبك المنتن الذى كان غيره أجدر بحبك لو عرف قلبك أثارة من الطهر ! يا فاسقة ! »

« ويهم أن يفتك بها ثانية »

— « أورست ! لقد أرضعتك ، وكنت آمل أن تكون سندى فى شيخوختى ! »

— « سنداً لها ! الفاسقة ! وكيف يظلنى سقف وقاتلة أبى مثلومة العرض ! »

— « قدر محتوم يا أورست ! »

— « والقدر المحتوم هو الذى يكتب عليك ما تلقين اليوم »

— « ولعنة أمك ! ألا تخيفك يا أورست ! »

— « أمى التى قذفت بى من حالق فريسة لأشجان الحياة ! »

— « أنا قذفت بك من حالق ؟ حاشا ! لقد أرسلتك إلى أعز الأصدقاء ليكلأك ويرعاك ! »

— « لقد كانت مقايضة خاسرة بالنسبة لى ! حرية وملك ، بعبودية وذل ! »

— « وأين الأعطيات التى بعتك بها يا بنى ؟ »

— « الأعطيات ؟ يا للعار حين نخوض فى ذاك من غير ما احتشام ؟ »

— « قد لا تذكر أيام أن انحرف أبوك وضل ! »

— « لا تنحى على الغائب بلائمة ! »

— « ألا تقدر لأواء أم محزونة مهجورة ، يا أورست ! »

— « بلى ! وأعرف أنها ظفرت بكل ما تشتهت ! »

« ويهم أن يقتلها »

— « آه ! أتقتل أمك يا بنى ؟ »

— « أنا ؟ أنا لا أقتلك ! ولكن تقتلك آثامك ! »

— « ها ! ... وأين تهرب من هامة أمك إذا قتلتها ! »

— « وأين أهرب من هامة أبى إذا خليتك يا آثمة ! »

— « كأنى أخاطب فيك قبراً فلا يسمع ! »

— « أجل ! وهو قبر أبى الذى يضرب وجهك بزفير جهنم ! »

— « آه ! الأفعى ! لقد ولدتها وربيتها ... وهاهى ذى تنفث سمها فى حياتى ! »

— « إذن ؟ هى رؤياك قد جعلها أپولو حقا ! »

— « ... ! ... تبدو كليتمنسترا كأنما يكاد يغمى عليها »

(١) البلط لغة الخرط (ق) وقد استعملناه لمناه العامى (البلطة) لأنها المقصودة فى المتن اليونانى كما تثبت صورة كليتمنسترا ذلك

— « القصاص يا أتعس الامهات ! لقد زرعت وزراً ، فلتجنِ اليوم أوزاراً ! »

« تنطلق كليتمنسترا داخل القصر فيعدو أورست في أثرها »

— ١١ —

ويذكر المنشدات ـ عذارى طروادة التاعسات ـ أوطانهن ، وما حاق بإليوم وبريام من دماء وتقتيل . فيتغنين آلامهن ، ويرجعن ذكرياتهن ، ويهتفن بمروس الهلسبنت ، ويناجين العظام النخرة التي نامت إلى الأبد تحت أسوارها ...

ثم .....

ثم يتزاح ستر صفيق عن أورست ... بين الجثتين الجبارتين جثة أمه الفاسقة كما دعاها ... وجثة إيجستوس المنهتك ، الذي لم يطهر ثأره بالحفاظ والنقاء ... بل لطخه بفضائح الدعارة وحياة الهوى التي عاقر خمرها مع كليتمنسترا

— « إشهدن يا عذارى ! ها هما قاتلا أبي ، وهادما مجد الوطن ! لقد استويا بالأمس على عرش آرجوس فلطخاه بالاثم ، وهما اليوم مجندلان فوق ثرى واحد ... وبيد واحدة ... وهو من البر بالأقسام ! أجل ! لقد برا بيمينهما ... أليس أحدهما قد أخذ الموثق على صاحبه أن يقتلا مولى هـذا القصر ... وأن يقتسما النتيجة ؟ إذن : لقد برت عينهما ... ولقد حاق بهما المكر السيء ، وعلقا في الشرك الهائل الذي حاكاه أولاً ... فدت لها فيه السنون والأيام ! ... ولكن ... ! وا أسفاه ! لقد جشمتني المقادير مهمة ملعونة ... ! وكيف ؟ أنا ... أورست المسكين قاتل أمه ! يا للاشقاء ! ... أبوللو ... أبوللو ... كن شاهدي ياسيد الشمس ! ... لقد أمرتني ... وأوحيت إلى أن اقتل أمك واحمل بعدها غصن الزيتون ! ... فلو لم أفعل لكان شقائي أدهى وأنكى ! وكيف أطيق صبراً على قاتلي والدي ؟ ! وأنا ابنه الوحيد ... والسماء تطالب دمه من رجولتي !

وأنتن يا طرواديات ! تكلمن بحق السماء ! أترين إليّ مذنباً ينقض ظهره الاثم ... أم بريئاً امتشقت العدالة سيفها بيمينه ... ! أيها الأصدقاء ! لقد قضت السماء أن أقتل أمي ... ! أمي التي ظلت حياتها سلسلة من المخازي ومستنقعاً من الفضائح ... حياتها التي كانت تحدياً للسماء ... لقد أقدمت وفوبوس[1] يحدوني ... لم يكن لي رائد سواه ... ولا كنف إلا كنفه ... ... هلم ياشعب

(١) فوبوس الاسم الأعريق لأبولو

الأرجيف المجيد ... كن شاهدي ومؤيدي ... وأنت ياعم منالايوس ... ستأتي ... ستعود إلى الوطن يوماً وتقر ما أقدمت عليه بوحي السماء ! ... لن يلومني أحد ... فاذاً ... فلن أضيق بالمنفى من جديد ... سأذرع الأرض ثانية ... سأجوب الآفاق . ولكن راضياً مطمئن النفس ... لأني ثأرت لوالدي .. ولشرف آرجوس كلها »

— حاشا حاشا أيها الأمير ! لن يلومك أحد على ما فعلت فلا تحرك لسانك بهذا اللغو ... ولا تملأ نفسك بذلك التشاؤم .. لقد أعدت للأرجيف حريتهم وشرفهم حين حطمت رأس الأفعى ، وثنيت بذنبها ! »

— ١٢ —

ولكن الأمير الشاب ما يزداد إلا ذعراً حين يرى إلى أمه مضرجة بدمائها ... وسرعان ما تكظ وجدانه رؤى كالحة وأشباح ... ثم تستيقظ في نفسه كلماتها الاخيرة : « وأين تهرب من هواني يا أورست ؟ إن هامتي ستلاحقك في كل مكان صارخة في وجهك : يا قاتل أمه ! ... » فيجن جنونه ... ويصيح ويصرخ ويصخب ...

— ويلاه ! آه .. ! ما هذه السعادير التي ترقص في حبر من الظلام ! آه ! أين المهرب ؟ »

— « إطمئن يا أعز الأبناء ! إنها أوهام يا أورست ! هدئ روعك ! »

ليست أوهاماً يا عذارى ! ويلاه .. ! إنها تنقض على ! هامة أمي ! ... ها هي ! ... آه ! »

— بل هي صورة هذا الدم الذي ما يزال يلوث يديك . . . إطمئن . . . »

— « لا . . . أنا بريء ! أدركني يا إلهي أبوللو ! يا سيد الشمس هذه الجرجون[1] الملكة الثعابين تتحوى فوق رؤوسها . . . عيونها تقدح الشرر . . . اللهب يندلع من أفواهها . . . السم ! . . »

— « أدع أبوللو . . . أدع فهو بك بر رحيم ؟ »

« آه ! ... انها تنشب أظفارها ... المهرب ... المهرب ! »

دريني خشبة

(١) مر ذكرها فيما أذعناه ( من أساطير الأغريق ) في أسطورة برسيوس

# البريد الأدبي

## جون نيتل ومشروعه لتعليم الفلاح المصري

جون نيتل من أنبه الكتاب السويسريين ذكرا، وأجلهم أوربا، وأصدقهم فناً في نقل صور البلاد، والقيام بتحقيقات اجتماعية رائعة، وقد تجلت موهبته لا في دقة الملاحظة فحسب، بل في سحر أسلوبه وسلاسة عباراته، بحيث تنفذ إلى نفس القارئ وتحدث في عواطفه أعمق تأثير

ومما يدل أبلغ الدلالة على تفوق هذا الكاتب في فنه أنه برغم كونه سويسريا استطاع أن يثبت شخصيته أمام الانجليز، وتمكن في روايته «الدكتور ابراهيم» من أن يدفعهم إلى الاعتراف بأن ثمرة تعليمهم في مصر هوت إلى الحضيض، وأن استعمارهم أصبح كابوساً لا يطاق لشعب نشر ألوان الحضارة المرفة، على حين كانت أوربا تغط في ظلمات الجهالة ومخلفات القرون

ويبدو لنا أن حالة الفلاح المصري أحدثت تأثيرا عميقاً في نفس هذا الكاتب، وجعلته أشد عطفاً عليه، وأميل إلى أن ينقل لقرائه صوراً رائعة من أفكاره ومعتقداته وسوء حالته المعيشية، مع حث المصريين على تجهيز قوافل برية ونيلية تؤلف من متاحف صغيرة متحركة، وتزود بآلات للسينما وأجهزة علمية لتغزو الجهل المتفشي في القرى والدساكر وتقضي عليه قضاء مبرما

ولقد حدث من سنوات أن قام جون نيتل برحلة طويلة إلى مراكش حيث الاستعمار الفرنسي يرتع في بلد فطري، فما كاد يستقر هناك بضعة شهور حتى ثارت ثائرته على مظاهر الاستبداد الفظيعة، وكتب كتابه المشهور «مراكش وعبد الكريم» فغضب الفرنسيون لصراحته، وأحدث ظهور كتابه ضجة هائلة في الأوساط الاجتماعية والسياسية بفرنسا

ويظهر أنه وضع روايته الجديدة «الدكتور ابراهيم» عن مصر وهو على ثقة من أنه سيستهدف لغضب الانجليز ونقمتهم، وتبرم صحافتهم بصراحته، لكنه لم يحفل بهذا كله ومضى يسرد الوقائع بين سطور كتابه ويصورها بريشة الكاتب الواقعي الذي لا يخضع لسلطان سوى سلطان فنه، غير عابئ بالحملات الشديدة التي أعانت عليه، ولا بعنف الانتقادات الثائرة التي استقبلت بها الصحافة الانجليزية كتابه

غير أن هذا الكتاب العظيم صادف هوى في نفوس الأمريكيين الذين يشيدون بمظاهر العدالة، فمجدوا شخصية جون نيتل وأفردوا لكتابه الفصول الطوال لافتين الأنظار إلى ما يجري في الريف المصري من تفشي الأمراض والجهل الفاضح والوقوع تحت أثقال ديون المرابين الأجانب

ففي هذه القرى لا يصرف قرش واحد لنظافة البيوت والطرقات ونقل القاذورات وتجفيف المستنقعات، حتى لقد تبلغ الدرجة فيها أن تبقى رمم الحيوانات ملقاة بين المساكن فتتجمع عليها أسراب الجوارح والذباب وتتصاعد منها روائح خبيثة

وفي أسواق القرى لا يوجد مرحاض واحد يفي بحاجة من يؤمه من التجار الذين يضطرون لقضاء حاجتهم في أركان الأسواق لتبقى هذه القاذورات هدفاً لأسراب الغربان والطيور والكلاب وجامعي الأحطاب، أو تلقي بقيتها في الترع والقنوات. فالعمل على تجنب الأضرار الناشئة من الماء الملوث الآسن يجب أن يكون قبل تدبير الماء الصالح للشرب في القرى، وهذا لا يتأتى إلا بارشاد الفلاح إلى طرق النظافة، وتوقي الأمراض المعدية، ولن يكون إرشاده إلا بتجهيز قوافل علمية تطوف بما كنه من وقت لآخر وتعمل على أن تنتشل الفلاحين المساكين من وهاد القذارة والجهل، وتخرج بهم من الظلمات إلى النور

ولقد كانت المحاضرة التي ألقاها جون نيتل في مساء الأربعاء الماضي بقاعة يورت التذكارية تحت إشراف معهد جان جاك روسو

للتربية بجنيف ، تدور حول هذه المشكلة ، مشكلة إصلاح حال الفلاح المصرى ورفع مستواه الاجتماعى مع المحافظة على تقاليد أسلافه .
فذكر المحاضر بأن كل فكرة ترمى إلى تعليم الفلاح بقصد انتزاعه من أرضه ونزوحه إلى المدن هى محاولة فاشلة ، فالواجب تشويق الفلاح إلى أرضه وتنمية مداركه وتوسيع آفاق فكره ومعارفه العامة ؛ فاذا أردنا مثلاً أن نرشده إلى الأحوال الجوية ومعرفة سير الكواكب كان علينا أن نزوده ببعثة فلكية مكونة من محاضرين بارعين ، مزودين بسيارات بها آلات ومراصد فلكية ، فيحل أعضاء البعثة بقريته يوماً أو بعض يوم ، ويجمعون الفلاحين فى مكان واحد ثم يلقون عليهم محاضرات بلغة بسيطة سهلة عن علم الفلك وحركة الكواكب والنجوم مع مساعدتهم على استيعاب هذه المعلومات بواسطة المجاهر الفلكية

وهب أننا نريد أن نلقى على فلاحى قرية كذا درساً فى النظافة والصحة العامة ، فنوفد اليهم قافلة صحية تتحفها الصحى الوف من نماذج مختلفة الأشكال ، وبأفلام سينمائية معها نشرات مكتوبة فى اللغة العامية يستطيع المربون الذين يرافقون القافلة أن يتلوا منها نصائح عملية على جماهير الفلاحين المحتشدين لاستقبالهم

فالتعليم الحديث بواسطة القوافل العلمية هو الوسيلة التى يرمى اليها مشروع جون نيتل لرفع مستوى الفلاحين ، إذ لا فائدة ترجى من إنشاء المدارس لتعليمه مبادئ الحساب والجبر وقواعد اللغة والرياضة إلى جانب تزويده بالمعارف العامة وتثقيفه الثقافة الشعبية الصحيحة التى تساعده على تربية الجيل الجديد تربية خالية من الجمود وشوائب الجهل

ونوه المحاضر بأنه لا يرمى إلى أن يظهر فى مشروعه بمظهر من علىَ ارادته ، ولكنه مشروع مفيد وضع بعد دراسات طويلة للتضامن مع الذين يهمهم رفع مستوى الفلاحين ، وتحسين أحوال معيشتهم ، كما أن تحقيقه على الوجه الأكمل يقتضى عشرات الئات من الشبان المتعلمين أن يساهموا فى إسداء هذه الخدمة الانسانية الجليلة ؛ وإن فى استخدامهم لهذا الغرض حلاً لجانب كبير من مشكلة الشبان المتعلمين ومكافحة الأمية فى القرى والدساكر

وأهاب المحاضر فى ختام محاضرته بأن فى تغافل الحكومة وفى تركها الفلاح غارقاً فى محيط جهله خطراً عظيماً على مستقبل الأمة ، لأنه سيصبح فى مصر طبقتان بينهما هوة عميقة : الشباب المتعلم فى المدارس العالية وفى معاهد أوربا ، وجمهور الفلاحين الذين يظلون بمقاية القرون الوسطى ويعيشون تحت إرهاب أساليب عصور الظلام

## كتاب الذخيرة لابن بسام

نعرف أن لابن بسام الأديب الأندلسى الكبير أثراً حافلاً عن حياة الأندلس الأدبية والسياسية فى القرن الخامس الهجرى وهو « كتاب الذخيرة فى التعريف بمحاسن أهل الجزيرة » وإلى أعوام قلائل لم نكن قد ظفرنا بعد بنسخة كاملة من هذا الأثر الحافل ؛ وكل ما انتهت الينا منه نسخ مغربية وأندلسية ناقصة ، ولكن العلامة المستشرق الأستاذ ليفى بروفنسال مدير مدرسة الدراسات العليا فى مراكش قد ظفر بعد البحث الطويل فى إحدى مجموعات المغرب بنسخة كاملة من كتاب الذخيرة ؛ والأستاذ بروفنسال حجة فى شؤون « الغرب الاسلامى » أعنى الأندلس والمغرب وله مؤلفات قيمة عن عرب اسبانيا والمغرب ، وقد نشر فوق ذلك طائفة نادرة من الكتب والوثائق عن تاريخ الأندلس والمغرب الأقصى : منها الجزء الثالث من كتاب البيان المغرب ، ووثائق عن ابن تومرت (المهدى) وجزء من تاريخ ابن حيان . ومن مؤلفاته كتاب بالفرنسية عن أحوال الأندلس أيام الدولة الأموية ، وقد تألفت أخيراً لجنة من أفاضل المستشرقين برياسة العلامة المذكور لتقوم على طبع كتاب الذخيرة وتحقيقه وتذييله ، وربما شغل الكتاب أربعة مجلدات كبيرة ؛ وهو ينقسم إلى أربعة أقسام : الأول خاص بقرطبة وأعيانها ؛ والثانى خاص بغرب الأندلس وأعيانه وأخبار بنى عباد ، والثالث خاص بأخبار بلنسية وأعيانها ؛ والرابع خاص بأخبار الجزيرة . ولدينا فى دار الكتب من كتاب الذخيرة نسخة ناقصة تحتوى على قسمين منه فقط هما الأول والثانى

وقد استفاد من كتاب الذخيرة كثير من العلماء المشتغلين بتاريخ الأندلس مثل دوزى وسيبولد ، وذلك قبل أن يوجد نصاً كاملاً ؛ والكتاب من أنفس آثار الأدب الأندلسى ، وقد كتب بأسلوب بديع ، وبه معلومات قيمة عن أحوال دول الطوائف خلال القرن الخامس الهجرى ، وليس من ريب فى أن نشره سيكون خدمة جليلة للتاريخ الأندلسى

### تراث جاك بانفيل

أشرنا فى عدد سابق الى وفاة الكاتب والمؤرخ الفرنسى الكبير جاك بانفيل . وقد قرأنا أخيراً فى إحدى المجلات الفرنسية الكبرى فصلا عن الكاتب الراحل للعلامة المؤرخ أوكتاف أوبرى الذى زار مصر منذ حين وألقى بها عدة محاضرات تاريخية شائقة ، يصف فيها تراث بانفيل التاريخى ويحلل مواهبه وكفاياته كمؤرخ وفيلسوف للتاريخ . وقد كان بانفيل قبل كل شىء كاتباً سياسيا ؛ وكان رجل جدل قوى يذود عن آرائه بيقين وحرارة ؛ وكانت تغلب عليه الروح الفلسفية فى كتابة التاريخ . ويرى الأستاذ أوبرى فى كتابيه « تاريخ فرنسا » و « نابليون » أثرين جليلين يمتازان بقوة خاصة . وقد كان بانفيل ملوكياً يؤمن أشد الايمان بالملوكية ونظمها وتقاليدها ؛ وكان يدافع عن عقيدته فى هذا الوسط الجمهورى المضطرم بحرارة المؤمن ؛ ومن ثم كان رأيه فى الثورة الفرنسية واعتبارها حركة دموية طائشة . وهو فى هذا يتفق مع كتاب عظام ناصروا الملوكية مثل لامرتين ؛ بيد أنه يفوقهم جميعاً فى حرارة اخلاصه للملوكية وشدة وطأته على الثورة . ويعتبر الأستاذ أوبرى كتابه عن نابليون أفضل مما كتب عنه تاين وميشليه ؛ ويرى فى كتابه « تاريخ الأجيال الثلاثة » صورة صادقة قوية من أحداث فرنسا ومحنها ومواطن عظمتها وضعفها منذ واقعة واترلو حتى معاهدة فرساى

بيد أن بانفيل يبدو فى ذروة قوته كفيلسوف مؤرخ فى كتابه الأخير ، وهو كتاب « الحاكمون بأمرهم » ، وقد استعرض فيه تاريخ الطغاة والطغيان منذ العصور الغابرة ؛ ويبدى بانفيل فى بحثه وتحليله لخواص الطغيان والطغاة مقدرة تطبعها رزانة خاصة ؛ ويرى أوبرى أن أثر بانفيل عن الطغاة يجب أن يتبوأ مكانه بجوار كتاب « الأمير » للفيلسوف الايطالى مكيافيللى ، برغم أن بانفيل يهتدى فى كتابه بمثل أخلاقية واجتماعية غير تلك التى يهتدى بها مكيافيللى فى كتاب « الأمير [1] » . ولتقدير الأستاذ أوبرى لتراث بانفيل التاريخى أهمية خاصة لأنه يتبوأ مكانة سامية بين مؤرخى فرنسا المعاصرين

(١) اقرأ تلخيص هذا الكتاب للأستاذ عبد الحليم الجندى فى العدد الماضى وفى هذا العدد من الرسالة

### أحرب أم سلام

نشر الكاتب الانكليزى الكبير الدوس هكسلى حفيد العلامة هكسلى مقالا عن مصاير السلام يقول فيه إن عام ١٩٣٦ سيكون عاماً حاسماً فى تاريخ البشرية ؛ ذلك أنه إما أن يكون عام حرب أو عام سلام ؛ إما أن يستطيع الساسة فيه أن يحتفظوا بسلام أوربا ، وإما أن تفلت الحوادث من يدهم وينحدر العالم إلى الحرب

والدول التى تسيطر على مصاير العالم اليوم هى سبع : بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة والروسيا — وهذه فى نظر الكاتب هى الدول « الراضية » — ثم ألمانيا وايطاليا واليابان ، وهذه هى الدول «غير الراضية» ، ذلك لأن الاحتكار الاستعمارى والاقتصادى الذى تنعم به الدول الراضية قد اشتدت وطأته فى الأعوام الأخيرة من جراء السياسة القومية التى تتبعها ، والنظم الجمركية والاقتصادية التى تنظمها ، لتوطيد تجارتها وسحق تجارة الدول الأخرى . والدول غير الراضية لها كل الحق فى أن تنقم على الدول الراضية هذا الاستئثار ؛ ذلك لأن مستوى الحياة فى ايطاليا وألمانيا واليابان يهبط بالتدريج ، وسيستمر على هذا الهبوط ؛ والحياة فى هذه البلاد تغدو كل يوم أشد وطأة ، حتى أصبحت ترى أن المغامرة بخوض الحرب أفضل من أى سلام مسكين تجنيه فى ظل هذه الظروف التعسة . وقد قامت فى هذه الدول الثلاث حكومات تمد شعوبها بأن ترد بالقوة القاهرة عنها هذا الحيف ؛ فأما اليابان فقد انقضت على بعض أقاليم الصين ؛ وتحاول ايطاليا أن تفتتح الحبشة ؛ وربما أقدمت ألمانيا فى فرصة قريبة على محاولة نيل الترضية اللازمة ، وربما كان ذلك على حساب روسيا أو أوربا الوسطى

وقد شهدت السياسة الدولية تطوراً معقولا فى المبادئ ، وذلك بتطبيق مبادئ وإجراءات اجتماعية « أخلاقية » ؛ ولكنا إذا أردنا السلام وجب أن نشتد فى تطبيق هذه المبادئ الاجتماعية إلى حدود أخرى ؛ وإذا كانت ايطاليا تتبع سياسة غاشمة فذلك لما حاق بها من الظلم ؛ وليس ثمة وسيلة واحدة لدفع هذا الحيف عن الدول غير الراضية سوى معاملتها ومعاملة دول أوربا الوسطى بعدالة

ويرى الكاتب أن الحرب والسلام بيد الدول نفسها ، فاذا أصرت الدول الراضية على التمسك باحتكارها الاقتصادى الذى كسبته بوسائل غير عادلة ، وإذا حاولت أن تتسلح حتى الذروة لتحتفظ به ، فان الحرب واقعة لا محالة

وأما إذا اعتزمت الدول الراضية أن تسير طبقاً لمبادئ الأخلاق ، وهى فى نفس الوقت مبادئ حسن التصرف ، فان السلام يغدو محققاً مكفولا

## الحياة المصرية المعاصرة

ظهر أخيراً فى انكلترا كتاب عن الحياة المصرية منذ أواخر القرن الماضى حتى يومنا ، عنوانه « حياة فى مصر A Lefatine in Egypt » بقلم سيدة انكليزية ، أنفقت طول حياتها فى هذه البلاد هى السيدة مابل جايارد . ويتناول هذا الكتاب وصف الحياة المصرية منذ أواخر عهد اسماعيل حتى سنة ١٩٣٥ ؛ أعنى خلال ستين عاما . وكان والد السيدة مابل موظفاً فى الحكومة المصرية منذ أوائل عهد الاحتلال ؛ وكانت مس مابل يومئذ فتاة ناشئة ، فقطعت حياتها الحافلة فى هذه البلاد ، بين الاسكندرية ومصر ، وشهدت تطورات الحياة المصرية فى هذه الحقبة ، واتصلت بكثير من الشخصيات البارزة فى هذا العهد ، ووقفت على كثير من الشؤون والمعلومات العامة والخاصة . وتقدم المس مابل فى كتابها عن مصر صوراً ساحرة لهذا العهد الذى كانت الحياة فيه ما تزال ناعمة هينة ؛ وتصف لنا مدينة القاهرة والمجتمع القاهرى فى أواخر القرن الماضى ، حين كانت لا تزال فى طور نشوئها العظيم ؛ وكانت لا تزال مدينة شرقية تحتفظ بكامل جمالها وسحرها الشرقى الذى ما زال يملأ مخيلة الكتاب والسائحين ؛ وتصف لنا الاسكندرية فى أوائل عهد الاحتلال وتروى لنا كيف كانت الحياة فيها أحياناً صعبة غير أمينة ، وكيف كانت محط المغامرات والمفاجآت المكدرة

وتقدم لنا المس مابل صوراً ممتعة عن البلاط الخديوى فى هذه الحقبة ، وعن الخديويين وعن أكابر سيدات الحرم الخديوى الذى اتصلت به المؤلفة وعرفت كثيراً من رسومه ومظاهر الحياة فيه ؛ وتصف لنا الاسكندرية والقاهرة أيام الحرب الكبرى ، وكيف تحولت العاصمتان الكبيرتان إلى شبه محطة عسكرية هائلة ، ثم تصف لنا ما طرأ على الحياة المصرية بعد الحرب الكبرى إلى يومنا

وكتاب المس مابل طريف تجدر قراءته فى هذه البلاد ، وإن لم يكن يخلو من بعض نواحى التحيز والتحامل التى قلما تخلو منه كتب الأجانب ، وبخاصة الانكليز ، عن مصر

## الفوكلور المراكشى

تعتبر اليوم دراسة المعتقدات والعادات والتقاليد الشعبية من الدراسات الأثرية المفيدة فى تاريخ الشعوب وتاريخ الحضارة وقد اتسعت هذه الدراسة وتقدمت فى عصرنا حتى أضحت تكون فرعاً خاصاً يطلق عليه « الفوكلور » أو دراسة المعتقدات الشعبية . ومن المؤلفات التى ظهرت أخيراً فى هذا الموضوع كتاب للدكتوره فرانسواز ليجى عن « الفوكلور المراكشى » وقد عاشت الدكتوره ليجى فى مراكش أعواماً طويلة ، ودرست المجتمع المراكشى دراسة مستفيضة ، ووقفت على معتقداته وتقاليده القديمة التى لم تنجح المدنية الفرنسية المفروضة فى إزالة معالمها ؛ وتناولت المؤلفة معتقدات الشعب المراكشى الدينية وعاداته الاجتماعية ، وما تداولته الأجيال منذ العصور الغابرة فى شأن الخليقة وآدم والبر والبحر والحيوان والنبات والطير ، من الأساطير والأمثال السائرة ؛ وتسوق لنا المؤلفة أمثلة طريفة من هذه المعتقدات فى شأن بعض الأشجار والأزهار فتقول : « إنهم يعتقدون أن بعض النباتات ليست من خلق الله ولكنها من خلق الشيطان ، وهذا شأن التبغ مثلاً ؛ وأما شجرة الكرم وشجر التين فقد حملها آدم من الجنة ؛ وقد نبتت الورود وزهر البرتقال من دموع النبى ، ونبتت شجرة الرمان من الأزهار التى نثرتها فاطمة الزهراء ابنة النبى حينما علمت بموت ولديها الحسن والحسين » ، ويعتقدون أيضاً أن بعض الحيوانات كانت بشراً ومسخت ، عقاباً لها على سيئاتها

والكتاب طريف فى موضوعه وفى مباحثه وخصوصاً فيما يتعلق بتقاليد القبائل البربرية وعاداتها ؛ وفى مباحثه ما يلقى كثيراً من الضوء على المجتمع المغربى فى تطوراته المختلفة ، فى ظل الوثنية والاسلام ، وما لا يزال حياً فى معتقداته وتقاليده من تراث العصور الغابرة